

روايات عبير

٤٣٥



بنت من المدينة .



www.elromancia.com

مرمورية

روايات عبير



No: 435

الاعداء الثلاثة

اجتمع الابن غير الشرعي "كيرك" ومديرة البيت السيدة "هيللي" والارملة "ليز" وابناها "ريان" و"جاسون" والذين ورثوا عن المرحوم "اميروز" . كان الثلاثة يكره كل منهم الآخر فالارملة تدعي انها المستحقة الوحيدة للمزرعة ، لأنها عملت طوال حياتها مديرة للبيت كالعبيد دون أجر ، والشاب "كيرك" يدعي انه الوريث الوحيد الشرعي له باعتباره ابن المتوفى أما الارملة فكانت مضطرة للحياة في الريف البارد البعيد عن حياتها في المدينة . لقد اضطر الثلاثة لمهادنة كل منهم الآخر كي يعيش .
فما هي النتيجة ؟

ثمن النسخة

Canada	5\$	ج ٣	مصر	٧٥٠ف	الكويت	٢٠٠٠ل	لبنان	٢٠٠٠ل
U.K	1.5	د ١٠	المغرب	١٠د	الإمارات	٧٥ل	سوريا	٧٥ل
France	15F.F	د ١	ليبيا	١د	البحرين	١د	الأردن	١د
Greece	1200Drs.	د ١٠٥	تونس	١٠ر	قطر	٥٠	العراق	٥٠
CYPRUS	1.5 P.	ر ٧٥	اليمن	١د	مسقط	٦ر	السعودية	٦ر

المقدمة

يتوفى أحد الأثرياء تاركا مزرعة ليرثها ثلاثة أفراد ابن غير شرعي له ومديرة منزله وابنة أخت زوجته الأرملة ولديها طفلان. يشترط المورث أن تنتقل الأرملة الشابة من المدينة إلى المزرعة حتى تستطيع أن تحصل على معاش ثابت من ريعها. وهو يهدف من وراء ذلك إلى أن تنشأ علاقة بين ابنه غير الشرعي والأرملة ليتزوجها ويدير المزرعة. يجتمع الثلاثة وتسود بينهم عداوة شديدة إلا أن الشاب القوي الذي كان يدير المزرعة قبل وفاة والده بوقت طويل استطاع أن يوفر للجميع لقمة العيش. تنشأ علاقة حب بين الشاب والشابة تقاومها الشابة لخوفها منه لتعدد علاقاته النسائية ولخوفها على ولديها كما أن هناك اختلافا في الثقافة بينها كفنانة عاشت وتعلمت وعملت في المدينة وهو كريف في جلف ويجري صراع رهيب ما بين العاطفة التي تحسها البطلة نحو الشاب وخوفها من المستقبل وخوفها على ولديها ويزيد من صعوبة الحياة بالنسبة لها أن المزرعة تقع في مكان موحش يسقط فيه الثلج أثناء الشتاء علاوة على العواصف وخطر فقد الماشية التي تخصصت المزرعة في تربيتها. نتيجة هذا الصراع وما ستنتهي إليه العلاقة بين الشاب والشابة ستعرفها - عزيزي القارئ - إذا تابعت الأحداث المشوقة حتى النهاية.

شخصيات الرواية

- "ليز تريماين": أرملة شابة لديها ولدان صغيران وكانت متزوجة من فنان مدلل انتحر بسبب فشله الفني.
- "ريان وجاسون ماکول": طفلا "ليز" الأول خمس سنوات والثاني أربع.
- "كيرك البريت": ابن غير شرعي لـ "أميروز"، وورث عنه ثلث المزرعة.
- "أولجا هايني": عجوز شمطاء كانت تعمل مديرة منزل "أميروز".

- ماما .. لقد حلمت حلما :
- علق كبرك وهو يضع الحلة بين يدي كيز :
- وأنا كذلك ... لقد حلمت بحياة هائلة ورائعة وسط الوحدة في الشتاء .. ولكن ماذا حدث لي ؟

الغلاف الأمامي

- قالت كيز وهي تبسّم في مكر :
- إنه لحم مشوي.
- أضافت :
- يسعدنا أن تنضمي إلينا
- صاح كبرك في صوت منخفض :
- يا إلهي! اظن أنني سأضطر إلى ذبح الثور الضخم إذا استمر الحال على هذا المنوال.
- فكرت كيز : إنه يستحق ذلك وسيتعلم كيف يكف عن توزيع قبلاته على اليمين وعلى الشمال.
- قالت تطمئننه :
- لا تخف فإن اللحم المشوي ضخم.
- في هذه اللحظة دخل جاسون يفرّك عينيه :

ولكن السيارة كانت تنزلق بسرعة مع هبات الرياح. هبت عاصفة من الثلوج حجبت عنها الرؤية عدة ثوان يا إلهي! في أي حفرة جهنمية ستسقط! أدخلت شريطا في جهاز التسجيل يرسل الحانا موسيقية هادئة. هل كانت - كما ادعى حموها وحمااتها - مجنونة كلية عندما تركت المدينة الهادئة التي عاشت فيها على الدوام كي تقرر في نهاية شهر نوفمبر أن تأخذ ولديها إلى مكان غير معروف؟ أو بالتحديد إلى مزرعة تربية ماشية لا يرغب أحد في العمل فيها حيث تشارك هي وطفلها رجلا لا تعرفه وسيدة عجوزا لا تكف عن الشكوى أبدا؟ قد يكون جنونا ولكن عمها "أميروز" منحها فرصة أن تقدم لولديها مكانا للإقامة أكثر ترحيبا من ذلك الموجود في "فانكوفر" ولم تكن هناك فرصة أن تفلتها.

ومع ذلك كان عليها ألا تتجاهل المشاكل التي ستواجهها. لقد كان الأمر واضحا وضوح الشمس عندما بدا لها "كيرك البريت" أكثر لطفا في أول مرة راقه فيها بداية الشهر. وكانت ابتسامته البطيئة قد أزعتها وعندما أزاح قبعته العريضة إلى خلف رأسه وأنزل خصلة من شعره الأشقر على جبهته أحست بضعف شديد في ركبتيها. وبعد أقل من نصف ساعة كانا قد تحالفا معا ضد السيدة "هيللي". كانت امرأة عجوزا شمطاء سليطة اللسان كان العم "أميروز" قد احتفظ بها مدة طويلة كامرأة مسؤولة عن كل شيء ولم تفعل شيئا سوى الشكوى المستمرة منذ اللحظة التي اجتمع فيها الثلاثة أمام كاتب العدل الذي سد فم المرأة العجوز عندما أعلن أنها هي وكذلك "ليز" و"كيرك" قد ورث كل منهم الثلث من مزرعة "ويتيه" وبشرط أن يعيشوا فيها، وهكذا عرفت "ليز" أن "كيرك البريت" هو ابن غير شرعي للعم "أميروز" وأنه كان ينتظر أن يكون الوريث الوحيد. أصبحت عيناه اللامعتان الرماديتان بارديتين.

الفصل الأول

استيقظ "ريان ماكول" من غفوته القصيرة ونظر من النافذة الخلفية لسيارته ثم صاح:

- انظري يا أمي! الثلج!

شاهدت "ليز تريماين" ابنتها البالغ من العمر أربع سنوات وقد احمر خداه من الإثارة. قالت:

- نعم.. نعم.. لا توقظ "جاسون".

فكرت الأمر يهون لو اقتصر على الثلج! كان هناك أيضا تلك الرياح اللعينة المحملة بالأتربة والتي ثارت من حوالي ثلاثة أرباع الساعة. اختفى جانبا الطريق تحت رقائق الجليد وأصبحت سيارتها الصغيرة مهددة بأن تنحرف وتسقط في الخندق المجاور للطريق. أحست "ليز" بالعصبية في البداية ثم تملكها الخوف ولكنها لم تكن تسمح تحت أي ظرف أن يلحق "ريان" علامات الخوف على وجهها. كزت على أسنانها

ولم يتحرك فمه باي كلمة بينما أخذ يتأملها بتعبير اتهام وكأنها دبرت كل شيء، ضغطت "ليز" يديها فوق عجلة القيادة كي تتجنب انحدار السيارة للجانب مرة أخرى ثم تذكرت أن عليها أن تزيد السرعة كي تستطيع استعادة سيطرتها على السيارة. أخذت تهمهم يا له من طريق قذر! وبالحال من ليلة ليلاء!

كم تمنّت أنها لم تتوقف عدة مرات في الطريق لتلتقط مئآت الصور للمناظر الطبيعية، كانت الشمس وقتها زرقاء ومليدة بالغيوم في نفس الوقت وتلك الامتدادات إلى ما لا نهاية وسط سلسلة الجبال وتلك الأنهار التي تنحدر مياهها وتنتهي إلى شلالات. كان من المستحيل بالنسبة لها باعتبارها مصورة محترفة أن تقاوم الرغبة في أن تسجل على الأفلام تلك المناظر الطبيعية الفريدة، كانت قد توقفت في مدينة "ميريت" لترسل الأفلام إلى معمل التحميض الذي تتعامل معه وأن يرسل الصور مباشرة إلى وكيلها "جراهام جيمس" والآن تفكر مع ذلك أن صورها ستكون غاليا بدلا من أن تجلب لها المبلغ الذي حلمت به.

سألها "ريان" بصوت منخفض:

- هل يمكن أن نصنع تمثال الإنسان الثلجي عندما نصل؟
كانت "ليز" لا زالت متشبثة بعجلة القيادة التي كانت على الاستعداد لأن تفلت منها في أي لحظة ونظرت إلى ستارة الثلج قبل أن ترد وهي ترتجف:

- سيكون الوقت متاخرا والجو شديد البرودة يا عزيزي، مرة أخرى أحست بالسرور، لأن كاتب العدل "ليستر براون" نصحتها بتلك السيارة التي تصلح لجميع الطرق وقدم لها بعض نصيبتها من الإيراد مقدما حتى تتمكن من شراء الملابس الشتوية لكل الأسرة. قال "ريان" مقترحا وكله أمل:

- يمكننا أن نصنع واحدا تحت عامود النور.
ابتسمت "ليز" لقد تحمل رجل الثلج الشهير كل شيء رغم الأمطار التي هددت بالهطول كما توقعت الأرصاد الجوية.
قالت له مطمئنة:

- سيكون لديك الوقت الكافي لعمل رجل الثلج في المزرعة والثلج لن يذوب هذه الليلة. واعدك بذلك.

عامود إثارة الشارع! لقد اجتازوا مئآت الأميال دون أن يشاهدوا واحدا. ولا نافذة مضاءة ولا حتى سيارة أخرى. ثم بالنسبة للعشب الأخضر فإنها لم تره منذ شهر يونيو. وعندما أعلنت عن عزيمتها الرحيل قص عليها الجميع قصصا مرعبة عن سقوط الجليد في وادي "روبسون" وانهيار الصخور في جبال "الروكي" والحرارة التي تهبط من عشرين درجة مئوية إلى ما تحت الصفر والنهاية المحزنة للناس الذين أصيبوا بنزلات البرد في تلك المناطق، طردت في تصميم تلك النصائح الطيبة التي خفضت من روحها المعنوية وركزت على القيادة، وإنها وطفليها لهم مكان في المزرعة ولن يمنعها من ذلك لا الثلج ولا عدوانية السيدة "هيللي" ولا حتى مسلك "كيرك البريت" العدواني. لا.. لن يستطيع شخص أو شيء أن يمنعها من الاستقرار. هناك كان الكلب ضخما ويسد مدخل البيت، وقد أطلق نباحه المزعج المرعب. وكان الثلج الذي ينزل بكثافة حول السيارة قد زاد من ثورته أمام تطفل هؤلاء الغرباء. حاولت "ليز" أن تفتح باب السيارة ولكن الملعون أخذ يشد سلسلته مما يهدد بأن يهب في وجهها عندما تنزل من باب السيارة مما جعلها تغلق الباب في الحال.

سأل "ريان":

- ماذا ستفعل؟

- نبقى هنا ونطلق النفي حتى يستدعي السيد "البريت" كلبه.
قال "جاسون":

- ربما لا يكون في البيت.

مال هو وشقيقه إلى الأمام وأسندا وجهيهما على كوعيهما فوق مسند المقعد وهما ينظران للأمام كانت أنفاسهما تدفئ عنق أمهما ومال الجميع إلى الأمام يراقبون كلب الحراسة الرهيب.

تساءلت "ليز" أين يمكن أن يكون "كيرك البريت"؟ لقد مرت عشر دقائق وهي لا تزال تضغط على الكلاكس الحاد دون نتيجة. أن يغيب يوم الجمعة. الأمر مثير للقلق. لاشك أنه وجد شخصا ما في تلك الليلة الباردة وأنه لن يعود قبل يوم الاثنين صباحا. ماذا تفعل؟ هل تموت من البرد في سيارتها مع ابنيها؟ كيف يتثنى لها أن ترحل دون هدف محدد في وسط هذا الثلج المزعج؟ وبيتها هنا.. هي وابناها!

- أخيرا قررت أن تجازف. مادام هذا الحيوان العجوز الرهيب يمنعها من الدخول من الباب الرئيسي فإنها ستدخل من باب الخدم. لماذا لم تفكر في ذلك من قبل؟ أدارت المحرك ودارت حول المنزل. لم تشاهد أي أثر للحياة وإنما ضوء خافت أصفر يضوي من عقب الباب. اجتاحتها شعور عارم بالارتياح.

كان الباب مغلقا فقط بالأكرة وكان ينفتح على حجرة بدا أنها تستخدم مكتبا ومغسلة. كانت الحجرة فسيحة مساحتها مثل مساحة البيت الذي كانت تسكنه في "فانكوفر" وكان المطبخ الملحق بها ضعف مساحتها.

في عشر دقائق نجحت "ليز" في تفريغ السيارة ولكن عندما وضعت كل الربطات في المطبخ كانت قد استنفدت جهدها من التعب والرطوبة والبرد أخذت تزيل الثلج بعناية فائقة عن كاميرتها الثمينة ووضعتها

على ركن من مائدة المطبخ. كان لديها من الكاميرات الثنتان وهما مهمتان بالنسبة لها وكانت تخشى على الكاميرا التي معها من الجو المحيط بها من تراب وقذارة انتشرت في المطبخ. كان التراب والقذارة وأشياء كثيرة قد كونت كومة فوق الأرض. ركع "جاسون" على ساقيه ليفحصه عن قرب مع "ريان" الذي صاح:

- أوه يا أمي! إنها قطيطات وقطة أم كبيرة وابناؤها. كانت عيناه السوداوان تبرقان في إعجاب بينما نزلت خصلات شعره المجعد فوق جبهته.

ابتسمت "ليز" لقد أصبح طفلاها في مامن الآن. وهما معا ومعها ولا شيء بعد ذلك يهم. رفع "ريان" إحدى القطيطات كي يريها لأمه. تحفزت القطة الأم وضربته بمخالبها. ارتعب وترك القطيطة تسقط في الصندوق الذي يجمعها مع أخوتها وأماها.

وتراجع بسرعة وهو يصرخ. لقد خربشتني بينما أخذ "جاسون" يبكي مما لم يتح لأمهما فرصة للراحة. جلست "ليز" على كعبيها وأخذت الطفلين بين ذراعيها وهي تهددهما وتعددهما بعشاء جيد. بعد دقائق قدمت لهما بيضا مقليا على خبز توست.

وفي أثناء تناولهما الطعام أخذت تدور حول المطبخ وهي تمضغ قطعة من الخبز وغامرت باستطلاع الغرف الأخرى. كانت إحداها دون شك تخص "كيرك" وأخرى في طرف المنزل في أحد الأجنحة ومفروشة مثل نفس الغرفة حيث تشغلها شخصية ارتفع صوت شخيرها في الجو عاليا. كانت دون شك السيدة "هيللي" والتي بدا أنها لا تتأثر بحالة المكان المزرية. أغلقت "ليز" الباب عليها وهي ترتجف اختارت حجرة من أجل الولدين والحجرة المجاورة لها وعندما انتهوا من وجبتهم حملت "جاسون" بين ذراعيها وأمسكت "ريان" الذي أنهكه التعب من يده

وقادتهما إلى حجرتهما الجديدة. أما هي فقد ذهبت إلى حجرتها.

انتهت من ترتيب سريرها ثم انزلت داخل الفراش وبدأت تنام. ثم نهضت وهبطت الدرج كانت الحقائق فوق أرض المطبخ. كانت متأكدة من أنها نصف مفتوحة لأنها سبق أن أخرجت منها بيجامات النوم لها ولولديها. حل عليها التعب فجأة عندما فكرت أن عليها أن تنقلها كلها إلى الدور الأول لا.. مستحيل! لقد كانت متعبة للغاية والتهمت بيضتين ثم انسلت ثانية إلى سريرها. غداً سترتب كل شيء وتنظم الأمور. لأنها لن تستطيع أن تنام في مقلب القمامة هذا.

إنهاء إنضاج البيضتين فتحت إحدى الحقائق وأخرجت منها قميص نوم وروب دي شامبر. كانت تمسكهما بيدها عندما فتح الباب وهبت عاصفة من البرد والثلج ثم رأت شبحين من الثلج ينحنيان ثم يدخلان المطبخ في خطوات متعثرة.

لم يتج لها وقت حتى للتفكير. تعرفت على الشبح الأول باعتباره عدوها المميت وهو كلب الحراسة المرعب فالقت عليه محتويات حقيبة ملابسها وهي تطلق صرخات مرعبة:

- ارجع..! ارجع! اجلس! اذهب للنوم في الخارج امسكت بمقعد واستخدمته كي تصرعه. وأثناء دورانها حول المائدة جمعت كل الأشياء المتاحة أمامها والتي تبدو صلبة وقوية وألقتهما عليه كما ألقت حمالة صدر على فكه وبنطلونا داخلها على ذيله.

ظل كيرك البريت فاغرافمه أمام المرأة التي احتلت مطبخه بحقائقها وربطاتها ثم خلع قفازه الجلدي وفك أزرار سترته المصنوعة من فراء الخراف. ثم رفع بعد ذلك برقة البنطلون الداخلي من فوق ذيل الكلب وامسك به على طرف أصبعه. أما ليز تريماين فكان وجهها شاحبا كالثلج ورفعت مقعدها وكأنها على استعداد أن تلقيه بعد حقيبتها.

أخذت تتراجع خطوة فخطوة وهي تصدر أوامر متناقضة لهذا الكلب الذي أصبح فجأة أقل تهديدا.

كانت ترتدي جينز وسويتير أحمر. وشعرها شبه الأسود يسقط على كتفيها وعيناها اللتان فتحتهما على اتساعهما وقد غشاهما الرعب. وعندما اصطدم ظهرها بجدار المطبخ وهي تتقهقر أدارت عينيها إلى كيرك وكأنها أحست فجأة بوجوده.

أخذت تتوسل إليه في صوت مرتعش:

- اجعله يخرج من فضلك.. يا إلهي! إنه يقوم بالتهام حمالة صدري.

نزع كيرك الحمالة من بين أنياب كلبه ووضعها على أصبعه بجوار البنطلون الداخلي وقال لكلبه:

- اجلس يا مارس ولا تتحرك أبدا!

أطاعه الكلب الذي كان خليطا من نوع كلاب الإسكيمو وكلب الرعي الألماني حيث جلس وهو ينصب أذنيه لأعلى. انحنى كيرك ليجمع محتويات الحقيبة من الأرض حيث كوم كل شيء فوق المائدة ثم اقترب من ليز وأخذ المقعد من يدها ووضعها على الأرض.

قال لها وهو يمد لها يده:

مرحبا يا ليز.

كان يزمر داخلها. لقد تعرف عن قرب على ذلك العطر الذي كان يزعمه ليل نهار منذ أن قابلها. عليه أن ينتبه إلى نفسه ولا ينساق وراء تلك المشاعر الخطرة. كانت لكلمات ترحيبه تأثير الرعد على ليز. دفعت يده وهي تنظر إليه في غضب صامت:

- مرحبا؟ هل هذا كل ما تستطيع أن تقوله بعد أن تركت هذا الحيوان السافل يمنعني من الدخول إلى بيتي في حين أنك كنت تعرف أنني آتية؟ أي نوع من الوحوش أنت كي تغيب عندما تواجه أم وابنها

البريثان كلب حراسة مربعاً ولا يستطيعون الدخول لعدم وجود شخص يهدئ من هذا الحيوان المتوحش؟^{١٩} والآن تهبط إلى هنا بعد ليلة لذيذة مع إحدى صديقاتك الصغيرات في الوقت الذي كنت أقود سيارتي على طريق خادع وسط الظلام والثلوج دون أن أرى سيارة واحدة طوال مسافة مئات الكيلومترات وعندما أصل إلى هنا واجد في انتظاري زريبة الخنازير. وتجرباً بعد ذلك لتقول لي مرحباً.

التقطت أنفاسها بعد هذه الخطبة غير المترابطة وأشارت بحركة قوية من ذراعها إلى داخل المطبخ. امتعض كيرك. كان حقاً أن المطبخ يشبه زريبة الخنازير وعليه أن يعترف بذلك. ولكنه قضى أسبوعاً من الجحيم مع الماشية ولم يكن ينام سوى ثلاث أو أربع ساعات في الليل. وكان عليه أن يفعل ذلك أو يفقد قطيعه من الماشية. استأنفت حديثها العاصف:

- هل تركت كل هذه القاذورات تتراكم وأنت تتخيل دون شك أنني سأتولى عملية التنظيف؟ ولكني لست خادمة يا كيرك البريث! كما أنني لن أسمح لولدي أن يلتهمهما هذا الكلب المتوحش وحتى قطتك القذرة هاجمت ريان وقد جننت عندما فكرت أنني أستطيع أن أربي ولدي بطريقة محترمة ومناسبة في هذه المزرعة، ولكن لا تتعشم أن ثلوجك أو حتى حيوانك المتوحش أو أخلاقك القذرة سيدفعوني للرحيل. لا. على الإطلاق.

دفعته بيدها بعنف وفي نفس الوقت تحشرج صوتها ولمعت الدموع في عينيها:

- اخرج من هنا.. أريد أن أنام.

كان منظر الدموع في عينيها قد جعل عدوها يفقد سيطرته على نفسه. اللعنة!

إنه هو أيضاً متعب وجائع ومثلج ولم يكن ينقصه امرأة تصرخ في وجهه فور عودته من نهار طويل ومرهق. والآن هذا المشهد!

إنه انهيار عصبي واتهامات مجنونة! كانت هذه هي المحنة التي يخشى أن يواجهها عندما يضطر للسكن مع امرأة وطفليها بالإضافة إلى العجوز المخرفة. كانت السيدة هيلي قد حطت على المزرعة من أسبوع مضى وانتهى الأمر به بصعوبة شديدة إلى أن يتعود عليها. ولكن هذه السيدة تريماين ستعيد عليه الكرة مرة أخرى وقد فاض به الكيل. قطع عليها طريق الخروج.

- انتظري دقيقة! كيف كان في إمكاني أن أتوقع وصولك اليوم إذا كنت لم تخبريني؟ مسحت دموعها:

- لقد كتبت لك لأخبرك عن وصولي اليوم.

- أه.. حسناً - ومتى كتبت لي؟

كان على تيز أن تفكر. لقد كان الأسبوع الماضي عبارة عن دوامة عاصفة من النشاط من شراء الملابس الشتوية ووداع الأصدقاء.

- إيه! يوم الاثنين على ما أظن ولكن ربما رحل الخطاب من البريد يوم الثلاثاء.

أخذ كيرك يتأمل ذقنها الصغير المرتجف. تساءل:

- هل مرتت نفسها أمام المرأة كي تجعلها ترتجف هكذا؟ إنها حركة تأثير الشفقة. صاح:

- ولكن أية فكرة عندك عن هذه البلاد؟ إن تصرفاتك هذه لا تصدر إلا عن فتاة من المدينة وإلا لعرفت أن الخطابات لا تصل صبيحة اليوم التالي من إرسالها. إن خطاباً مرسلًا بالبريد من فانكوفر يوم الاثنين لن يصل إلى هنا قبل ثلاثة أو أربعة أيام وأخر مرة ذهبت فيها إلى

المدينة لأحضر البريد كان يوم الثلاثاء. ثم لابد أنك مجنونة كي تقودي سيارتك وسط مثل هذا الجو! كان عليك أن تتوقفي في "موتيل" عند أول إنذار بالعاصفة.

وضعت يديها في وسطها وواجهت ثانيه:

- أي إنذار تقصد؟

- إنذار في الإذاعة عن الأرصاد الجوية بالتأكيد. وذلك الملعون "ليستر براون" ألم ينصحك أن تشتري ضمن مشترياتك جهاز راديو تركبينه في سيارتك؟

كان الصوت الأمر لـ "كيرك" قد قلب كيان "ليز".

- ألا تعجبك سيارتي؟ لقد أخبرني "ليستر" أنك الذي أوصيت بهذا النوع من السيارات. وقبل كل شيء إنها ليست سيارتي كما هي ليست سيارتك. إنها ملك المزرعة. إذن أين هي مشكلتك؟

- مشكلتي كما تقولين أنك عرضت حياة طفلي للخطر لقلة تفكيرك. لقد أعلنت الأرصاد الجوية من ثلاثة أيام نوبة برد مع تقلبات جوية عنيفة والآن أحب أن أسالك ماذا تسمعين في الراديو الخاص بك؟

ثبقت عينيها على عيني الراديو الغاضبتين.

تساءلت كيف يمكن أن تجدهما ساحرتين؟ كيف تعتقد أنها أثناء قيادتها للسيارة مدة نصف ساعة كي تذهب إلى كاتب العدل وقبل أن تعرف أنهما سيعيشان معا! استطاع أن يقطع أنفاسها عندما نظر إليها فقط وهو يبتسم؟ ولكن الآن عندما قرأ كاتب العدل الوصية نظر إليها وكان كل شيء بسبب غلظتها. قالت:

- إنني أضع شرائط تسجيل وليس لدي وقت كي أسمعها من سنوات فلم لا أسمعها بدلا من سماع نشرة الأخبار أو الأرصاد الجوية؟

رفع رأسه إلى السماء وهزها في يأس:

- لأن هذه الأخبار تخبرنا أنه كان عليك أن تتوقفي عند أقرب موتيل حتى لا تتعرضي للأخطار. أثناء الشتاء في هذه الانحاء لابد أن تستمعي إلى الراديو باستمرار وإلا عليك أن تفتحي عينيك باستمرار وتراقبي تغيرات الحرارة وعلامات العاصفة حولك في اللحظة التي يبدأ فيها الثلج في السقوط عليك أن تلوذي إلى أي مكان آمن قريب منك.

- أه حسنا... الجا إلى "موتيل" من أجل بعض شرائح الثلج؟ كم أنت مسلي.

قال في ثورة:

- نعم هذا هو ما كنت أفعله في الحال إذا كنت أقود سيارتي في منطقة مجهولة لا أعرف عنها أحوالها الجوية.

- كيف يتسنى لي أن أعرف أن الجو سيتقلب؟ لقد كانت السماء صافية وزرقاء وفجأة اختفى الطريق. ماذا كنت أفعل غير ما فعلت؟ لا توجد أي مدينة ولا ضوء وكل ما كان أمامي أن أفعله هو الاستمرار في القيادة حتى رايت أخيرا المزرعة. وعندما وصلت إلى وجهتي ماذا وجدت؟ كلبا مسعورا يقفز في وجهي.

أدارت رأسها لتخفي ما يعتمل داخلها من مشاعر ثم أنهت كلامها هامسة:

- لقد كنت أتعشم أن أجذك هنا عند وصولي. كنتم "كيرك" رغبته في الزمجرة.

إن دموع المرأة هي أسوأ ما يمكنه أن يتحملة.

قال:

- كان علي أن أدير مزرعتي ولم أكن أستطيع أن أظل جالسا في انتظار وصولك كي أرحب بك وإن كنت لست موضع ترحيب.

تأملته في وجهه بعد أن اختلعت دموعها ولا ذقن مرتجف ولا نظرة حزينة وبائسة.

- أعرف أنني لست ممن سيرحب بوجودهم هنا ولكن كان علي أن أحضر.. أتفهم؟ إنه بسبب الطفلين.

دون انتظار الرد أخذت حقيبة الملابس التي القتها على فك الكلب وخرجت من المطبخ دون أن تنظر خلفها.

يا له من قول مرعب! لماذا القى في وجهها إنها ليست موضع ترحيب؟ وظل يكرر ذلك السؤال وهو واقف أسفل الدرج وقد أصاخ سمعه نحو خطوات عدوته. إنها ليست سوى عبارة سمجة! إن السيدة "تريماين" لها من الحقوق في المزرعة مثله ويجب أن يضع في حسبانته ذلك الطريق الخطر الذي اجتازته! إنها متعبة مثله تماما وجائعة أيضا مثله دون شك. عندما تذكر الجوع استدار نحو المطبخ وشاهد ما كان يتصاعد منه الدخان فوق الموقد. إنه شيء محروق ربما كان بيضا مقلبا انتهى به الأمر إلى التفحم. زغر كيرك في ضيق وألقى البيض في سلة المهملات ثم جلس على الأرض وخلع حذاءه ذا الرقبة الطويلة وقد بلغ به التعب أقصاه.

أخذت "ليز" وهي مستلقية على ظهرها في فراشها تتلملم وهي تنعي حظها وبالأخص حظ ذلك المسكين العم "أميروز" كان موت زوجته الشابة قد أشعره بالمرض وحوله إلى رجل قاسي وبارد. هذا على الأقل ما قصه عليها والدها الذي كان شقيقا للمتوفاة. فكرت في مدى حزنه.

لاغرابة إذن في أن يكون "كيرك" أيضا قاسيا وباردا مثل "أميروز" ولكن "كيرك" ليس له عذر إلا إذا كان هناك من يشاركه الإرث ربما في هذه اللحظة بالذات طرق الوريث الفاسد على باب حجرتها بينما تمسح دموعه. صرخت فيه:

- اذهب إلى غير رجعة!

ولكنه لم يذهب بل فتح الباب وظهر بينطلونه الجينز المبتل ولكن دون حذائه ذي الرقبة الطويلة ولا سترته. كانت لحيته التي لم يحلقها من ثلاثة أيام أعطته مظهرا وحشيا. ولكن نظراته الرقيقة يمكن أن تقلب حال أية امرأة! نهضت "ليز" بسرعة واتجهت مباشرة نحو النافذة وهي تدبر ظهرها للزائر وهي تقول وتكرر:

- من فضلك اذهب.

كان يعرف جيدا أن عليه أن يرحل ولكن شيئا ما في هذا الجسد الرفيع وحركة الكتفين جعله يقف في مكانه، إذا رحل فإنه كمن يترك طفلا يبكي. سار دون ضجة فوق السجادة واقترب منها وأحس برجفتها ثم تصلب عضلاتها.

قال بلهجة مشجعة:

- هيا استديري!

ضغطت "ليز" فكيتها وقد صممت على ألا تتخضع برقة صوته. لابد أن تقاوم ولكن يده فوق كتفها في حزم ودفع أجبرتها على أن تستدير. لم ترد "ليز" أن ترفع عينيها إلى وجهه وثبتتاهما فوق قميصه القماش ذي المربعات السوداء والبيضاء والمصنوع من القطن. جعلتها ضخامة جسده تدرك فجأة رائحة الجلد المختلط بالعرق والعشب الجاف.. إنها رائحة ليست منفرة ولكنها رائحة رجل قوي.

قال برقة:

- تعالي يا "ليز" أنا أسف على ما قلته لك. مرحبا بك كل الترحيب وصدقيني وأكثر ترحيبا من الشريكة الثالثة في هذه المغامرة. صدقيني إنني كنت أحاول أن أدافع عن نفسي ضد اتهاماتك ولكنني أخطأت. أعرف أنك تعرضت لخوف شديد ومن الطبيعي أنك بكيت وأنا أسف

حقا لأنني الملك.

أحس بأنها تصارع كي تتحرر من قبضة يديه على كتفها ولكنه أمسكها بقوة. أدهشه ما أحسه من نعومة صوف السويتر الذي ترتديه وجعله يحس فجأة بانوثتها وبرجولته. وهو بالضبط ما لم يكن يود أن يحس به. لقد أتى فقط ليقدم لها بعض الاعتذار. نعم مرحبا بها في المزرعة ولكنه هو يحتاج إلى وقت حتى يتعود على وجود امرأة مثلها رقيقة وحلوة في هذه البراري. امرأة تجعله يحس بالسعادة. امرأة تبكي.

توسل إليها :

- لا تبكي!

ردت عليه بصوت مضطرب:

- أنا لا أبكي.

- لا -

مسح باصبعه السبابة دمعة صغيرة كانت تنزل ببطء على خدها الناعم كالحرير. كم هي رقيقة وهشة!

- وهذه ... ما هي؟

أراها طرف أصبعه المبلل وهز رأسه.

- حسنا.. لقد بكيت ولكن، لأنني كنت خائفة، أو لأنك جرحتني.. إنني أبكي دائما عندما أفقد شعوري ومع هذا الكلب اللعين وهذا المطبخ الذي تسوده الفوضى وتلك المرأة العجوز التي لا تكف عن الشخير في حجرتها و.. لقد شعرت بالخوف الشديد يا كيرك.. لقد خفت أن يموت طفلاي في الجليد.

أحاطها بذراعيه دون إرادته وقدم لها الملجا الأمين في كتفيه العريضتين وشم عبير شعرها الأسود.. همس:

- أعرف.. أعرف... ولكنك في أمان الآن. إن كلبتي يسمى 'مارس' إنه يصدر ضجة ولكنه لم يعقر أي إنسان من قبل ولست أنا الذي اشتراه وأقسم لك على ذلك. كل شيء سيكون على ما يرام واعتمدي علي. لماذا تعتمد عليه؟ إنها لا تعرف عنه شيئا. وضعت 'ليز' رأسها على كتفه. ربت بيد حانية مطمئنة على شعرها، بالخارج كان هناك البرد والثلج الذي يهز النوافذ... و.. يا إلهي! كم هو إحساس لذيذ أن تحس هكذا بالدفع والحماية.

فكر 'كيرك' إنها حقاً امرأة رقيقة وهشة دون دفاع. أحس بتعبه يتوارى ويختفي وأن الحرارة تسري في جسده. مسح بيده خديها ثم رفع رأسها باصبعه. تأملته بعينين واسعتين سوداوين اجتاحتها الرغبة بسرعة لم تنتح لها وقتاً للتفكير عندما قبلها فردت على قبلته بحرارة.

بدا على التفكير البعيد والنظرة المتهربة وإحاطة دائرة بشفتيه عندما تذكر أنه ليس الوريث الوحيد. تراجعت للخلف خطوة ورفعت يدها إلى فمها وكأنها تحاول أن تمحو الذكرى عن شفتيها ثم قالت ببرود وكأنها تقرر واقعا:

- أرجو المذرة.

بدا مذهولا وكأنه لم يتعود على أشخاص يعتذرون:

- لم تفعل شيئا تزدمين عليه.. أنا.. أنا جئت كي أخبرك أنني أعدت بيضا مقلبا.. هل تريدون بعضه؟ إن البيض احترق.

فكرت أن الخسائر أكثر من مجرد بيض محروق.. لقد نال جسدها كله بعد تلك القبلية. عادت فوضى العاصفة تزار خلف النوافذ وصلت إليها فارتعدت. إن الدببة لها حق أن تبني بيانا شتويا أثناء هذا الفصل البارد. أما هي فلا تستطيع. بعد ساعات عليها أن تتشغل بطفليها وبالإضافة إلى تنظيف البيت الذي أصبح ضروريا ويحتاج لمجهود شخصين على الأقل مدة شهر. ولكنها.. ليس لديها القوة رغم أنها محتاجة إليها بشدة. إنها إذا لم تتناول طعاما وتتغذى فإن الأمر سيزداد سوءا أعلنت وهي ترفع ذقنها عاليا في كبرياء:

- حسنا.. سأقوم بتحضير بعض المأكولات.

أخذت ترنو إلى الكلب بنظرات جانبية. بعد أن التهم فطيرته وضع رأسه بين قدميه الأماميتين وأخذت عيناه تتبعان حركات الشخصين اللذين يعدان وجبة طعام. كان كيرك الذي أحس بتأنيب الضمير قد نظم المطبخ بعض الشيء سألته:

- ماذا يسمى؟

وضع كيرك شرائح التوست الساخنة فوق المائدة وصب في سلطانية كبيرة شوكولاته ساخنة لدرجة الغليان أعدتها ليز. دس

الفصل الثاني

تصلب جسده وتسأل ماذا يفعل؟ ومع من؟ ابتعد عن المرأة.. لا.. لا.. لا مجال للاستسلام لآلية العاطفة التي تخيلها "أميروز" وهو راقد في قبره:

- أن يأتي بامرأة إلى المزرعة.. امرأة من أجله هو كيرك ولكنه ليس من الغباء بحيث يمكن التلاعب به وخداعه.

قال موجه كلامه إلى المتوفى: لا يا "أميروز" النساء اللاتي أرغبهن وأنا الذي اختارهن بعدها يذهبن. لأنني لا أريد لإحداهن أن تستقر. كانت مهمتها تشبه الزمجرة والتي أفلتت من حلق "ليز" عندما أبعدا كيرك. حك لحيته النابتة حديثا بينما ارتجفت شريكته. لقد تقبلت برضاء خشونة ذقنه.

قال لها:

- أنا أسف!

أصبغه في السائل وأخذ يمسه بتلذذ مما جعل "ليز" تبتسم في مرح إن طفلها يفعلان نفس الحركة. أجاب "كيرك":

- "مارس" وهي صفة المارشال لأنه منذ كان جروا صغيرا كان يحب القيادة، إنه نوع ممتاز من كلاب الحراسة وهو يسهر على العمال وعلي ولا تندهشي إذا حرس طفليك ولا تخافي شيئا أبدا فإن أنيابه مشكوك فيها وهو لن يسبب لهم أي ضرر على الإطلاق جلست وهي تختلس نظرة متشككة نحو الحيوان وهي تفكر:

هذا واضح! لم تكن مستعدة أن تهبه ثقتها ثم إنها سبق أن عقرها كلب عندما كانت صغيرة ولا زالت تحتفظ باثار الجرح:

- نعم.. وكم عدد العمال في المزرعة؟

صحح لها:

- قولي كم كان عندنا من قبل؟ لا تنسي أننا معا في المزرعة وهذه الفترة من السنة أقوم بإدارة المزرعة بمفردي. ولكن في شهر مارس عندما تبدأ الأبقار في الضعف والهزال نستأجر رجلا لعمل دائم ونحتفظ به حتى يتم جمع الماشية عندما يأتي في عمل مؤقت. صممت فترة وقد رفعت بيضة إلى قمها وقالت:

- جمع الماشية؟ لماذا؟ هل مثل ما يحدث في الأفلام؟

- تماما.. جياذ تجمع بحبل وأنشطة وطبع علامات على الأبقار عن

طريق الحديد المحمى.... إلخ هل تركيبين الخيل؟

ارتجفت عندما تخيلت حبلا في نهاية أنشطة يلتف حول جواد.. إن كل شيء يثير امتعاضها وقد لاحظ هو ذلك:

- ألا تحبين الخيل؟

أجابت بين قضمتين من الطعام:

- المسألة ليست أنني أحبهم أم لا ولكني أجدهم ضخام الجسد و..

المررة الوحيدة التي وجدت نفسي على ظهر أحدهم وقد مال برأسه ورقبته لأسفل كي يشرب ماء فانزلقت من فوق السرج حتى الأرض.

ضحك ضحكة مقبولة وحارة وهو يصيح:

- كم كنت أود أن أرى المنظر!

قالت معترفة وهي تبتسم بدورها:

- أبي أيضا اعتبر الأمر مسليا ولكني لم اعتبره كذلك لقد اعتقدت أن الجواد سيرسل لي ركلة فانطلقت من أمامه كالسهم إلى خيمتنا. لقد كنت في السادسة من عمري ثبتت عليه عينين مغلقتين:

- إنني لن أكون مضطرة لأن اتعلم ركوب الخيل اليس كذلك؟

هز رأسه:

- لا ما لم يكن الأمر يسرك.. ولكن في الربيع عندما تحصلين على جوادين صغيرين من نوع السيسي من أجل الولدين قد تغيرين فكرك. وتذكرني أنه وفقا لوصية "أميروز" فإنك ستتولين فقط بالبيت وليس علي أن أطلب معونتك في عملية تربية الماشية.

أوه! ليس أمامها سوى المطبخ والتنظيف والطفلين..

- ومن كان يتولى أمور البيت بعد رحيل السيدة "هيللي".

- "أميروز" معظم الوقت.

أحست بالحزن. قالت في نفسها إنه من الطبيعي أن تشناق إلى أبيها. ووفقا لما عرفتته في مكتب كاتب العدل فإن "كيرك" لم ير والده أبدا قبل أن يبلغ العشرين من عمره ثم خلال السبع أو ثماني سنوات التي عاشها معا كانت عاطفة حقيقية تربطهما ودت لو أنها لم تطرح هذا السؤال وحاولت أن تجد موضوعا آخر للحديث لقد تحدثت ليستربراون بغموض عن الأعمال التي ستقوم بها. قالت في نفسها إن كل هذا البيض لابد أن يكون وراءه العديد من الدجاجات. سألته:

- هل كان ليستر يعطني بتربية الدواجن؟

- نعم.. هل يمكنك تولي هذه المهمة؟

- لست أدري! لقد قلت ذلك لـ ليستر وإنني لا أعرف شيئا.

- أوه.. لقد تذكرت ذلك. لقد شحبت وجهك عندما تكلم ليستر عن ذلك.

اتخافين من الدجاج؟

اجابت على تهكمه وهي تضع ملعقة على المائدة بضجة:

- بالتأكيد لا.. ولكن الدجاج لم اره حيا وإنما مقطعا في محلات

السوبر ماركت. ماذا تأكل؟ ومتى؟ وهل تستلزم عناية ورعاية؟ ليست

لدي أدنى فكرة.

قال لها وهو يقدم لها الشوكولاتة الحارة:

- اطمئني.. إن الدجاج يأكل الحبوب ونوعا من العجينة ويجب

إطعامها مرتين في اليوم وصب الماء في أوعية شربها في نفس الوقت.

ويجب أيضا جمع البيض وذبح دجاجتين عجوزين أو ثلاث لطهيهما.

- نجحها؟

- نعم إننا نقطع رقبتها. ألم تسمعي أبدا المثل الذي يقول: إنه يجري

مترنحا وكأنه بجاجة مذبوحة. وضع قطعة كبيرة من البيض فوق

التوست والتهمها بتلذذ. أغلقت "ليز" عينيها ثم فتحتهما على صوت

ضحك صاحب قال:

- لا تحاولي أن تبعدي نظرك.. إنني أمزح فقط لا اعتقد أن ذلك اثر

فيك إلى هذه الدرجة.

أمسك بيدها التي وضعتها على المائدة في إهمال ولكنها سحبتها

بقوة قال لها:

- لسنا مضطرين لأن تربى الدواجن هنا.. إن هذا البيض يأتي من

المزرعة على الجانب الآخر من الطريق والنهر. وكذلك كل الدجاج

الموجود في الثلاجة.

كانت "ليز" لاتزال ممتعضة من مزاحه وطرقت موضوعا آخر:

- ما هي مواعيدك؟ أعني بالنسبة للوجبات.. من المهم أن أعرف ذلك

طالما سأتولاهما.

- حسنا.. ولكن إذا كان ذلك لا يوافقك فقولي لي.. من الاثنين إلى

الجمعة الإفطار في السادسة صباحا. والغداء حوالي منتصف النهار

عندما ينتهي من عمل الفترة الصباحية والعشاء ما بين السادسة

والنصف والسابعة والنصف. أما بالنسبة لعطلات نهاية الأسبوع على

الأقل خلال هذه الفترة من السنة فإن هذا الجدول ليس بهذه الدقة.

كررت في نفسها في صمت:

- الإفطار في السادسة. إنه عمل لا إنساني إذ لابد في هذه الحالة أن

تنهض على الأقل في الخامسة والنصف ولكن في أي ساعة ينهض هو

كي ينتهي من الاغتسال والأعمال الصباحية المصاحبة لحلب الماشية

قبل أن يتناول طعامه؟

- كم عدد الماشية التي عندك؟

- حوالي ألفين.

- هل يجب عليك أن تحلب ألفي رأس من الماشية قبل أن تتناول

الإفطار؟

جاء عليه الدور كي يهاجمها:

- لا! هذه حظيرة تربية الماشية وليست مزرعة إنني فقط أنظف بقرة

واحدة كي أحلبها من أجل استخدامنا الشخصي. إن الماشية الناتجة

من تزاوج الثيران من نوع "سيجنفال" مع الأبقار هي من النوع الذي

ينتج اللحم.. اتعرفين معنى كلمة اللحم: مشوي ومقلي وستيك

وهامبورجر؟ ذلك اللحم الذي تجدينه في السوبر ماركت وهو ناتج من

اللحم الذي يسير على أربع أرجل.

- أعرف أعرف!

- أرجو المَعذرة، إنني أَمْزَح.

- يضايقني أن أجهل هذه الأشياء عن المزارع، لأنه لم يعلموني شيئا

عن الإبحار في كلية الفنون

سألها باهتمام:

- كلية الفنون؟ هل أنت فنانة؟

- نعم ولقد نجحت حتى في اختبارات فن النقش وأرسم قليلا ولكن

مجال فني المنتظم هو التصوير الضوئي ربت في حنان على الكاميرا

الموضوعة على مقعد بجوارها.

قال:

- فهمت!

- ولكن من وقت طويل لم يكن لدي الوقت الكافي.

تذكر عشرات الأطفال المستغرقين عندما أوقف سيارته عندهم وأخذها

لكاتب العدل . سألها:

- لماذا تعملين جليسة أطفال وأنت مصورة موهوبة؟

قالت وقد شاب صوتها بعض المرارة:

- إن الحصول على لقمة العيش يكلف كثيرا.

كان عذرا تافها ولكن الحقيقة كانت واضحة على تعبيرات وجهها.

استمرت في الحديث في هدوء:

- منذ وفاة زوجي قمت بتصوير عدة لقطات كثيرة للمناظر الطبيعية

والحيوانات أكثر من صور الزواج والأعياد والأطفال التي أصبحت

مكرره كالأكلشيئات التي يطلبونها من المصورين عادة. وكان لي وكيل

يتولى صوري وكانت تباع من أجل صنع النتائج والتقاويم السنوية

والكتب عن الطبيعة وبطاقات أعياد الميلاد والمجلات السياحية ولكن في
السنة الأخيرة تعطلت غسالتني الكهربائية واضطرت لبيع أحسن
كاميراتي. وبدون صور أبيعها لم أستطع أن أشتري الأقلام ولا دفع
اثمان التحميض في المعامل الفوتوغرافية.

أرسلت له ابتسامة صريحة حتى إنه لم يعد يعرف ماذا حدث له. لقد

أصيب في أعماق قلبه وبعمق أكثر مما حدث له معها من أشهر مضت.

قال لها بلهجة مشجعة:

- افهم! نحن أيضا مررنا بفترة قذرة من عدة سنوات وفقدنا العديد

من الحيوانات. ولم يعد لدينا ماشية كافية للبيع فاصبنا بعجز في

السيولة النقدية اللازمة لتجديد الحظيرة.

- نفس المشكلة ولكن بدلا من الماشية فإن العجز عندي كان في الأقلام.

ضحك ضحكة من هذا النوع الذي يشعر "ليز" بالضعف بسبب غير

مفهوم. لم تتوان عن الإنصات إليه ولا عن تأمل لمعان عينيه الرماديتين.

أخذت بطريقة آلية ترتب الصحاف بعد أن أتمت شرب كوب الشوكولاتة.

ونهضت وهي لا تعرف أين تضع تلك الأطباق؟ وأي عمل يشغلها عن أن

تنظر إلى عينيه!

نهض "كيرك" بدوره وأدار الغسالة الكهربائية للأطباق وبدأ في ملئها

ولما كان واقفا بجوار "ليز" التي أخذت تناوله الأطباق. كان معجبا

بجسدها النحيل ومنظر وجهها الجانبي الرقيق وشعرها الأسود

الخفيف. عندما رآها في "فانكوفر" فهم في الحال أنها لم تخلق لهذا

الجو الرهيب والبيئة المزعجة والمحرنة والقيحة.

سألها:

- إن الحياة لم تكن سهلة بالنسبة لك.

- أوه... حسنا لم يكن الأمر قاسيا لهذه الدرجة. فلي ولدان كبيران

ونحن سعداء سويا وهذا هو المهم.

انتهت من ملء غسالة الصحون وناولها "كيرك" عليه مسحوق التنظيف. رفعت شعرها للخلف وشغلت الماكينة. أخذ "كيرك" يراقبها ويردد في نفسه "كيف تقول إنك لم تكن قاسيا جدا عليها؟ هل تظن أن باستطاعتها خداعه؟ إنه يعرف أكثر من غيره المصاعب التي تلاقها الأم الوحيدة في تربية أولادها، تسأل هل ترك لها زوجها شيئا بعد موته؟ تذكر في الحال حركة ذقنها في كبرياء عندما صحت لـ "ليستر" عندما دعاها السيدة "ماكول" حيث قالت له بلهجة حادة وقاطعة:

- إنني لا أحمل اسم زوجي من فضلك ناديني "ليز تريماين" شرحت له "ليز" أيضا أن كلمه "ليز" هي كناية عن "فيليز" وكانت الطريقة الباردة التي تحدثت بها قد ضايقته بعض الشيء ولكن في نفس الوقت كان معجبا بروح التصميم لديها. هاهي امرأة تفكر مرتين قبل أن تقبل مساعدة من أحد مع إنها في نفس الوقت لا تمشي على بساط من ذهب. غسل "كيرك" في الحوض الصحون وأدوات المائدة القذرة ثم ناولها لها. وقد دهشت "ليز" من تعبيره الساهم الحالم. لابد أن الأمر لم يكن سهلا عليه أن يشارك منزله مع غرباء! ومع ذلك بعد نخلته الأولى العدائية والمذعورة بعد قراءة الوصية لم يبد أي حدة أو عدا. قالت له:

- إنني لم أعرف العم "أميروز" ولكن بفضل سي يعرف ولداي وأنا حياة أفضل وأكرم. هل يمكن أن تحدثني قليلا عنه؟

لقى عليها نظرة ذكية ثم استدار نحو الحوض:

- لا يوجد الكثير مما يمكن أن يقال. لقد كان رجلا ضخما وقويا... رجلا طيبا على ما أظن. وحتى اليوم احتفظ بشعره وتقريبا كل أسنانه وسوء ظن تقريبا عن كل الناس الذين قابلهم ولا اعتقد أنك كنت

ستقبلينه.

- هل تشبهه؟

- نعم قليلا ولكني ورثت عن أمي شعرها وبشرتها الشقراء. وحسب أمي، فإن شخصيته لم تكن ساحرة مثل جسده وقد دفعت الثمن غاليا. كانت "ليز" تتساءل لماذا لم يتزوج العم "أميروز" أم "كيرك". ونظرا لسن "كيرك" يمكن ملاحظة أنه ولد قبل أن يتزوج العم "أميروز" عمة "ليز".

- أين تعيش إذن أمك؟

- في "ايدمونتون".

تجههم وجهه ففهمت "ليز" أن عليها ألا تلح. قال:

- ووالدك؟ هل هما..

- أحياء؟ أوه... نعم.

- لقد انفصلا عن بعضهما عندما كنت في الرابعة عشرة من عمري وكون كل منهما أسرة جديدة لذا لدي العديد من الإخوة والأخوات غير الأشقاء.

- في أي أسرة عشت؟

- كنت أنتقل ما بين الأسرتين حسب مزاجهما.

فكر أن الذكرى لابد أن تزعجها، ومع ذلك هاجمها

- ما سن ولدك؟

- سيبلغ "ريان" خمس سنوات في الشتاء و"جاسون" بلغ الرابعة من

شهر مضى. هل لك إخوة أو أخوات؟

هز رأسه نفيا وانهايا عملهما في صمت. ثم صب بقية الشوكولاته في قذحيهما.

أشارت إلى المطبخ بحركة من ذقنها:

- شكرا لك خاصة من أجل المطبخ.. لقد كنت مخنوقة كلما فكرت في تنظيفه غدا.

رأت عبر النافذة قطعا من الثلج ففكرت بقلق في الغد سألته:

- هل سينزل الثلج أيضا غدا؟

- لا أستطيع أن أخبرك عن ذلك. واعتقد أن علينا أن ننتظر قليلا حتى تهبط العاصفة. لقد أدخلت سيارتك في الجراج وهاك مفاتيحها.. وحتى في هذه المنطقة الموحشة من غير المستحسن أن تتركي المفاتيح في السيارة. عندما يتوقف هطول الثلج ساشق طريقا وسطه إلى الطريق العام. إن رجال الطرق سيعملون طوال الليل كي يظل الطريق مفتوحا. لا تخشي شيئا فإنها لن تظل تسقط الثلج للأبد والطرق في العادة صالحة لعبور السيارات.

- اعرف.

- لقد اعتقدت أن هذه هي أول مرة تواجهين هطول الثلج.

- في الحقيقة لقد تعودت على الثلج ولكن ليس على العواصف الثلجية.

أنهت قبحها وهي تتحدث ثم اتجهت نحو الباب. ظل "كيرك" بلا حركة قالت في خجل:

- حسنا.. أتمنى لك ليلة سعيدة.

- "ليز"!

اقترب منها فتسمرت "ليز" في مكانها.

- هل يمكنني أن أفعله هذه المرة بطريقة صحيحة؟

تجهمت وهي في شدة الإرهاق لا تستطيع التفكير:

- ما هو إذن؟

- هذا!

أمسك بذقنها وطبع قبلة على فمها برقة ثم انتصب واقفا وهو يقول لها:

- مرحبا بك في مزرعة "هوييتيه".

- أوه... شكرا وليلة سعيدة.

تمددت "ليز" فوق سريرها وهي تستمع إلى صوت هبوب الريح خلف النوافذ. ورغم استقبال "كيرك" لها فإنها أحست بأنها وحيدة لدرجة مؤلمة وبالقلق على أسرتها. نامت قليلا في تلك الليلة وعندما استيقظت في الفجر كانت العاصفة لازالت تزار. وصلت إليها مناقشة حادة بين "كيرك" والسيدة "هيللي" حول الكلب عندما اندفع ولداها إلى الحجرة وصعدا إلى السرير وأدفاها بأقدامهما الصغيرة. أتى من الدور الأرضي صوت "كيرك" الشائر يؤنب السيدة "هيللي"، لأنها ربطت الكلب في الخارج وسط الجليد وكان عصابة ستهاجم البيت. سمعت صوت باب يغلق بعنف ثم صوت محرك سيارة يتردد في فضاء البيت. خرج "كيرك" إلى عمله بعد أن حلب البقرة.

ظلت العاصفة تهب طوال النهار بينما كانت "ليز" ترتب الأثاث وتنظف الحجرات. وضعت فيها الأشياء المعتادة أما الأثاث الخاص بها فلن يصل إلا بعد أيام. قابلت السيدة "هيللي" مرتين ولكن السيدة العجوز ظلت معظم الوقت في حجرتها أو حجرة الصالون، عارضت السيدة "هيللي" في وجود الطفلين في الصالون حيث كانت تشاهد التلفزيون ووجدت "ليز" حلا آخر. كان بالدور الأرضي حجرة فسيحة غير مشغولة بدت لها ممتازة كغرفة لعب للطفلين. ما إن أخرجت الأثاث القليل الذي كان بها حتى نظفتها ثم نقلت إليها كتبهم ولعبهم وكذلك جهاز التلفزيون القديم الذي كان عندها في "فانكوفر" فكرت لحظات أن تشعل نارا في المدفأة ثم قررت أنه من الأفضل أن تتأكد من عدم وجود

خطر منها في اثناء لهو "ريان" و"جاسون" ومرحهما في صالة لعبهما الجديدة. هاجمت الدور الاول ونظفت ورتبت كل شيء ثم أعدت الوجبات.. ثم هبط الليل ساعدت الطفلين على النوم ثم اندست في سريرها وهي متعبة ولكنها راضية من العمل الذي انجزته طوال النهار. إنها لم تر "كيرك" وغدا ستعتني بالدور الأرضي.

ابقظها شعاع الشمس وفي الحال استعدت وذهبت لإحضار طفليها، ولكنها لم تجدهما فهبطت إلى المطبخ. لا يوجد أحد ولكن معطفيهما اختفيا من فوق السحابة. أسرعت "ليز" إلى الباب وفتحته على مصراعيه. أفلتت منها صيحة ذهول وإعجاب رغم البرد إلا أنها وقفت طويلا تتأمل السماء الرحبة ذات اللون الأزرق الصافي وظهرت مجموعتان صغيرتان من الأشجار خالية الورق وسط بساط من الثلج وفي الأفق ظهرت الجبال شامخة على جانبي الوادي حيث ظهرت مياه النهر الصافية كالكريستال ورغم الثلج الذي غطى الأرض رأت هنا وهناك بعض المراعي وعلى اليمين بين جذوع أشجار الأرض البيضاء من الثلج، لاحظت مباني زراعية أمامها حصان عجوز يتمشى وهو يهز ذيله. أخذت تصور في ذهنها دون كاميرا البانوراما التي أمامها. رأت على الثلج آثار أقدام تتجه إلى آخر مخازن الغلال الذي انبعثت منه أصوات ضحك الأطفال مختلطة بصوت نباح "مارس" الأمر الذي أصابها بالهلع. ارتدت حذاءها الطويل وزحافتها واتجهت إلى المخزن. رأت في الحال "جاسون" وهو يحتضن "مارس" ويتدحرج معه وسط التبن، رفعت في الحال وحملته. أخذ الكلب ينظر إليها وقد تدلى لسانه في ذهول.

احتج الطفل:

- ولكن يا أمي.. إنه كلب لطيف ويحبني ونحن نرتع ونلعب

اقترب "مارس" ولحق يد "ليز" وأحست بان خوفها يختفي. وضعت "جاسون" على الأرض وهي لا تزال ترتجف. لا يجب بوجه خاص أن تنقل إلى ولديها ذلك الخوف الذي تحسه نحو الكلاب. قالت:

- حسنا لا بأس ولكني لست خائفة أين أخوك؟

أشار بأصبعه:

- هناك.

أدارت "ليز" رأسها ورات رأس ابنها يظهر من فوق جدار صغير. تساءلت ماذا يمكن أن يفعل هناك؟ عرفت الرد في الحال. كان "ريان" يشاهد تحت ضوء مصباح معلق يتطوح في الهواء "كيرك" جالسا على مقعد صغير بلا ظهر ويقوم بحلب بقرة وهو مرتد سويتزر أخضر من صوف التويد وبنطلون جينز مغسول عدة مرات. أصيبت بصدمة عند رؤيتها له وكأنها تلقت ريحا غير متوقعة في وجهها، ظلت مسمرة في مكانها.

قال لها وهو ينظر إليها نظرة طويلة من فوق كتفه:

- صباح الخير يا "ليز".

ذكرتها ابتسامته بالقبلة التي تبادلها ليلة أول أمس، سعدت لأنها كانت واقفة عكس الشمس في مدخل الباب، لأنه لا يستطيع أن يقرأ على وجهها أي شيء يعبر عما تحسه بداخلها.

كان مخزن الحبوب والدريس دافئا وأخذت تحس بالعرق داخل السويتزر السميك الذي ترتديه.

قال "ريان" بانفعال:

- إنها الحظيرة يا أمي وأستطيع أن أحلب البقرة، اتحيين أن تعرفي

كيف أفعل ذلك؟

- لا.. إنها لن تتحمل ذلك. إن مجرد التفكير في أن ابنها يوجد قريبا

من ذلك الحيوان الضخم أيقظ كل مخاوفها السابقة. أرادت أن تمسك بـ
ريان ولكن خوفها من أن حركتها قد تفزع البقرة فتركته ركلة قد تصيب
أحدا وهي أمور من الممكن أن تحدث.
قالت له بركة:

- يا عزيزي.. لم يسبق لك أن حلبت بقرة.. يمكن أن تصاب بجرح.
كتم كيرك ضحكته. كان يعلم تماما أنها تخاف على ابنها وليس على
البقرة. نظر إليها بطرف عينه لقد كان وجهها بلون العاج في هذه
اللحظة قال لها بصوت هادئ:

- كل شيء يسير على ما يرام يا ليز.. أقدم لك كوكو وهي لطيفة
جدا وأؤكد لك أن ريان لن يتعرض لأي خطر معها.

- ربما ولكن كوكو ليست متعوده عليه. كيف يمكن أن نتأكد من أنها
ستسمح لغريب أن يلمسها؟ أقصد يلمس ضرعها.. لست أعرف الكلمة
الصحيحة.. مرة ثانية حاول جاهدا أن يكتم ضحكته.
- لا تخافي.

- تعال يا عزيزي ريان ستتعلم حلب البقرة عندما تكبر.. ماذا قلت؟
تعال في الحال!

أطاعها في تردد. أحست بالارتياح ولم تفكر إلا في الهروب من هذا
المخزن الحار جدا والذي كانت رائحته قوية نفاذة. ولكنها عندما
استدارت وجدت جسدا ضخما يسد عليها باب الخروج.
امسكت ريان بيدها وهي تصرخ وقفزت نحو جاسون حيث أخذته
بين ذراعيها ثم طارت نحو كيرك بحثا عن ملجأ آمن.

الفصل الثالث

بعد ساعتين أخذت ليز توبخ نفسها وهي تنظف أرضية البهو على
مسلكتها عدة مرات.

- إنني حقا غبية.. لم أكن خائفة وإنما مصدومة لم أكن في حاجة
إلى كيرك وابتسامته التي جعلتني مجنونة. ولكن لم تكن غلطة كيرك
وصديقته الصغيرة كريستي تشاندلر التي امتطت ظهر فرستها وإذا
كانت قد جعلت من نفسها موضع سخرية فإن الغلطة غلطتها إن قرارها
المجنون نحو منقذها المدعو كيرك كان عملا أخطر غير مدروس. إنها
لن تنسى أبدا لحظة أن وجدت نفسها بين ذراعيه وصدره يرتفع
وينخفض في حركة مستمرة من الضحك وهي ملتصقة به هي وطفلاها
كل هذا، لأن حصانا وفارسته أفرعاها.

أوشكت على الانتهاء من النظافة وهي تتذكر من اللمعان الراقص في
عينني كيرك وكريستي تشاندلر خاصة الأخيرة بشعرها الأشقر ورني

صوتها الضاحك عندما وبخها كيرك لأنها أفرغت الحيوان المسكين .
كما أنب كريستي لأنها في نفس الوقت أفرغت الشابة المسكينة الآتية
من المدينة وكأنه يود أن يقول الفتاة الطيبة الساذجة . همست في
نفسها :

- حسنا .. إذن البقرة لم تجرح ريان والكلب تبين أنه حيوان طيب
يعشق الأطفال وأخيرا الجياد لا تاكل الناس .. ولكني لم أنشأ وأتربى
في مزرعة بين كل هذه الحيوانات ولم تقض عطلاتها الأسبوعية مع
كيرك البريت فوق تلك المزرعة اللعينة التي عاشت عليها كريستي
تشاندر ذات الخدين الورديين .

تساءلت بعد ذلك لماذا لا تقضي كريستي عطلاتها الأسبوعية مع
كيرك ثم تذكرت امتعاضه عندما قال لها : إنه لا يستطيع التمشية فوق
ظهر الجواد معها ، لأن عليه أن يساعد ليز في نظافة البيت .

عندما نظرت من فوق كتفها رأت كيرك يعمل في الصالون وسط
شمس ساطعة جعلت الأثاث يضوي لمعانا . كان الأثاث عتيقا ولكنه
مريح . رأت كتباً ومجلات وجرائد مرصوصة بعناية على أرفف كانت
تغطي الجدران بينما نار جميلة مشتعلة في المدفأة . كان الطفلان
راكعين على ركبهما أمام مائدتهما الصغيرة يلونان بنشاط كتب الصور
الخاصة بهما .

كان كيرك قد أعلن أن الحجرة التي اختارتها كصالة لعب لهما باردة
جدا ويجب أن يفرش فيها سجادة وحتى يتم ذلك كان على السيدة
هيللي أن تشارك الطفلين حجرة الصالون ولا داعي للالتفات إلى
شكاواها الدائمة .

رفع عينيه وراها فابتسم تلك الابتسامة البطيئة التي تضغط طرفي
شفتيه وتصل إلى أسفل عينيه . تلك الابتسامة التي لم تستطع أن

تتعود عليها في كل مرة . كانت ركبتها ترتخيان تساءلت هل يشك في
تأثير تلك الابتسامة عليها ؟ أحاطت عيناها في نظرة سريعة كتفيه
العريضتين وأعلى ساقيه القويتين ووسطه الرفيع وساقيه الطويلتين .

احمر وجهها عندما تذكرت نفسها وهي بين ذراعيه لقد كان صدره
صلبا وقويا . لاشك أنه مدرك لتأثيره على النساء وما عليه إلا أن يتذكر
اعتراضها عندما علم أن عليه أن يقيم من الآن مع السيدة هيللي وعائلة
ليز تريماين وكثرت ليز لنفسها نفس العبارة .

- إنني أعرف بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ أيام الأحد لدي
صديقات ياتين إلى المزرعة ويبقن فيها .

قال لها عن بعد :

- ماذا تهمهمين ؟ هل هناك شيء يسير بالمقلوب ؟

- لا .. كل شيء على ما يرام ولكن عليك أن تهتم بماشيئتك بدلا من
تلميع البيت . إنه عملي . لو عرفت ليستر براون ما تزاوله الآن من عمل
لخفص من راتبي الشهري .

- إن طفليك يساعداًني على حلب البقرة .. كما أنني مهين لك بشيء .
- إن وعائين صغيرين من اللبن يحلبانهما لا يمثلان مساعدة . أرجوك
أن تدعني أكمل النظافة اليوم هو الأحد وهو أحد الأيام التي تخصصها
للنساء على ما أظن .

نظر إليها وهو لا يعلم إن كان يضحك أو يدهش .

- مخصص لمن ؟

- للنساء .. هذا ما قلته لي في مكتب كاتب العدل السيد ليستر
براون أنا أسفة ، لأن وجودي غير من نظام حياتك .

فكر كيرك الرحمة يا ربي ! كيف أثق بامرأة تتذكر كلمة بكلمة كلاما
مرسلا في الهواء . رد عليها بحدة :

- لا تشغلي بالك بنمط حياتي فانا لا اشكو من شيء .

- اسمعي يا "ليز" ! من اللحظة التي فرض علينا أن نعيش سويا يجب أن نعيش في انسجام . وهذا يتطلب تنازلات من كل منا . ولكن كل شيء سيسير على خير وجه .

استنتجت "ليز" جيدا التنازلات المطلوبة منها . إنه رجل مهذب جدا وبوجود طفلين وسيدتين بالغتين في بيته فإنه لن يحضر نساء إلى المنزل .

في هذه اللحظة هبطت السيدة "هيللي" الدرج وهي ترتدي ثوبا أخضر يلغها وكأنه عباءة .

قالت بصوت حاد :

- هل يمكن أن اغامر بالدخول إلى المكان الذي نظفتيه يا أنسة؟

أجابت "ليز" بحرارة :

- من فضلك افعلي !

دخلت المرأة العجوز إلى الصالون دون أن تعير الطفلين أي انتباه وفتحت التليفزيون على برنامج ديني . ذهبت "ليز" إلى حجرة الغسيل لتحضر سفنجة وذهب "كيرك" لينضم إليها سالها في صوت هامس :

- ماذا تعني هذه الكوميديا ؟

كتمت "ليز" ضحكاتها :

- لقد بدا الأمر مبكرا في الصباح . هبطت من غرفتها أثناء قيامي بتنظيف المطبخ وأرضيته وأمرتني أن أصعد لرتيب سريرها في الحال حتى تستطيع أن تعود إلى حجرتها بسرعة . بعد ذلك كان علي أن أحمل لها صينية عليها أربع قطع توست وزبدة وست شرائح من اللحم المحفوظ وأبريق قهوة .

- أه ! وماذا فعلت ؟

- ماذا فعلت ؟ لقد ضحككت وقلت لها إنني لست خادمتها ، وإذا أرادت أن تاكل ، عليها أن تنزل في ساعات الوجبات وتأخذ ما أضعه في طبقها دون كلام وإلا عليها أن تطبخ لنفسها وجباتها وتغسل في الحال الصحون وأدوات المطبخ . في الحال كان عليها أن تصبر حتى تتناول إفطارها ، لأن الأرضية في المطبخ لازالت مبللة ولا أريد منها أن تترك أثار أقدامها القذرة إذا سارت عليها .

أعلن "كيرك" وهو يضحك :

- حسنا جدا . ماذا قررت إذن ؟

- أرادت أن تطلب "ليستر" بالتليفون كي تشتكي له ولكن ذلك لم يكن ممكنا ، لأن اليوم هو الأحد ومن ساعتها ظلت في حجرتها ... ولم تاكل شيئا .

قال لها وهو يفتح زجاجة سائل منظف :

- لن يغيدها أن يفوتها وجبة أو اثنتين .. يا إلهي .

- يا لها من مخلوقة ! ماذا سنفعل معها ؟

- فقط علينا أن نتعود عليها .

وضع زجاجة المنظف في دولا ب وقال :

- إنني أتساءل ألا نستطيع أن ندفع بها إلى الثلج في الخارج كما

يفعل أهالي الإسكيمو بالمسنين منهم .

- إنه أمر مرعب وشنيع !

ولكن منظر السيدة "هيللي" وهي متلفعة بثوبها الأخضر وتزرع أرضية المزرعة المغطاة بالثلج هو منظر شنيع حقا ولكنه ممتع .

قالت له مقترحة :

- ألم تفكر في الهنود الحمر وآلات التعذيب وكيف يجعلون النمل

يلتهم أعداءهم ؟

قال:

- هناك أيضا ما هو أسوأ. ليس عندنا نمل ولكن ما رأيك في أن نربطها في لوح خشبي ونتركها على الجليد حتى يسحبها تيار الماء؟ بدأت "ليز" تضحك من صميم قلبها وانتهز "كيرك" الفرصة ليقترّب منها ويحصرها ما بين الغسالة الكهربائية والثلاجة.

قال بصوت رقيق:

- إنني أحب رنين ضحكائك. إنه يجعلني أفكر في ليالي الصيف الحارة.

لم تنطق بكلمة وإنما أخذت تنظر إليه وقد تقطعت أنفاسها وقلبها يدق بعنف داخل صدرها. لمس خدها بطرف أصبعه إلى أن وصل إلى أثر جرح سالها:

- ماذا حدث هنا؟

- لقد عقرني كلب عندما كنت في السادسة من عمري.

- أه.. هذا يفسر خوفك من "مارس" كيف حدث ذلك؟

ابتسمت وقالت:

- كنت أجري على الشاطئ كنت نشوى للغاية من الريح التي كانت تهب والأمواج المتلاطمة ومن سرعتي في الجري لم أنتبه إلى كلب الجيران الذي كان يعدو بجواري. عندما أردت أن أدور حول نفسي وقعت عليه. اعتقد أنني أهاجمه وتصرف بالغريزة على ما اعتقد. ولكنني أصبحت من وقتها لا أثق بالكلاب.

- نعم.. إنه أمر طبيعي. ولكن إذا كان "مارس" ينبج بهذا العنف في تلك الليلة فإنه لم يفعل ذلك ليهاجمك وإنما، لأنه كان ثائرا على ربطه بالسلسلة وسط البرد والثلج. أول مرة رأيت فيها أثر الجرح هذا أردت أن ألمسه في حنان. هل لمسه أحد عندما حدث لك ما حدث؟

- لا.. لقد كنت مغطاة بالدماء واضطروا إلى عمل عدة غرز خياطة وإعطائي حقنة ضد التيتانوس.

تساءل إن كان قد بدأ يهتم بها. بالتأكيد كان مهتما بها. على مرور الأيام عرف ذوقها المرح وروحها الحية. إنها امرأة لا يشكو منها المرء لقد اضطرت لمواجهة مصاعب جمة والتغلب عليها منذ وفاة زوجها. ولكن ليس هذا سببا أن يتمناها وينجذب نحوها. عليه أن ينتبه ولا يجب أن يسقط في الفخ الذي نصبه له "أميروز" اللعنة! لقد قضى سبع سنوات يصارع الرجل العجوز حول كل الموضوعات وفي معظم الأحيان كان ينتصر. وليس الآن بعد كل ذلك يترك نفسه مستسلما لحكم رجل ميت إنه يعلم جيدا ماذا دبر "أميروز" كي يجبره على طاعته وهو الزواج! خلع حذاءه ذا الرقبة الطويلة وخرج من الباب الخلفي. سرعان ما وضحت أفكاره أمام البرد بعد حرارة المنزل وعطر تلك المرأة. على أية حال إنها ليست من طرازه المفضل ومن الأفضل أن ينسأها ويختار امرأة تناسبه تماما. ثم إن الحياة الزوجية ليست أساس حلمه. لقد كان أعزب روحيا تماما مثل "أميروز" في الجزء الأكبر من حياته. ركل إطار الجرار بقوة وبدأ ينظف الثلج اندي يغطي المحرك.. ولكن صورة "ليز" لم تفارقه قال:

- إنني ذاهب إلى المدينة.. هل أستطيع أن أحضر لك شيئا؟

كان قد نظف جرائه جيدا ثم بدل ملابسه.

وانضم إلى "ليز" في المطبخ كانت تعد الطعام للغداء. ألقت عليه نظرة من فوق كتفها كان "كيرك" رائعا في بنطلون جينز جديد وقميص أزرق انعكس لونه الحي على عينيه الرماديتين.

كان جميلا بدرجة كبيرة ومليئا بالحيوية. اضطرت أن تركز على سؤاله ردت:

- نعم أريد من فضلك فواكه طازجة وتفاحا وموزا وبرتقالا وجزرا وبصلًا.

قال "ريان" متسائلا وهو يجلس القرفصاء أمام صندوق القطيقات الصغيرة:

- هل يمكن أن تحضر شوكلاته أيضا؟

نبهته أمه بعنف:

- ليس أنت الذي يصدر أوامر يا "ريان".

- ولكن جدي كان دائما يحضر لنا شوكلاته.

- "كيرك" ليس جدك.

- هل سيصبح والدنا؟ وإذا كان هو والدنا هل يمكن أن يحضر لنا

شوكلاته حتى لو قلت أنت لا؟

إن الآباء هم السادة. هذا ما قاله جدي.

احمر وجه "ليز" وأرادت أن تسكت هذا الولد اللعين.

قال "كيرك" موافقا على كلامه في جدية:

- إن جدك عنده حق.

قال "جاسون" بصوت ممطوط:

- نعم.. غير أنه هو وجدتنا لم يسمحا لنا باللعب بالدراجة في

البيت.. هل يمكننا أن نفعل ذلك معك؟

صاحت أمه:

- "جاسون" لقد قلت لك من قبل إنك عاقل جدا وربما أحضر لك

"سانتاكلوز" دراجة لكل منكما في عيد الميلاد المجيد. كن عاقلا ومعنى

ذلك ألا تلقي أسئلة.

- حقيقي يا "ليز" ليست جريمة أن يطلب شوكلاته.

أعلنت في حزم لكل منهما:

- عندما أقول لا شوكلاته فمعنى ذلك لا شوكلاته ولا رجعة في ذلك.

- من فضلك. لقد كنت أعشق الشوكلاتة وأنا طفل وأنا أعشقها

دائما.. باكوآن من الشوكلاته للأطفال موافقة؟

- لا من فضلك لا تعارضني عندما أوجه لهما الحديث لأبد أن أعلمهما

دون مساعدة من أحد وأعلمهما ألا يتوسلا أو يلحا.

- بالتأكيد عندك حق.

تنهدت. من الواضح أنها بدت متسلطة بعض الشيء ولكن كيف لها

أن تتجنب ذلك؟ إن حماها وحماها كانا يستسلمان كثيرا للطفلين وهو

ما كانت ترفضه دائما.

قالت كي تلطف من حديثها:

- ولماذا لا يكون زباني مثلجا؟

قبل الطفلان وتلقى "كيرك" طلب الزباني بالفواكه. لم يصر بعد ذلك

على الشوكلاته واتجه في برود نحو الباب لاحظت "ليز" بروده وحزنت

قالت له:

- سأتناول غداء خفيفا خلال خمس دقائق هل تريد أن تأكل شيئا قبل

أن ترحل؟

نزعنت ابتسامتها مقاومته.

عاد إلى مكانه وود لو أخذا بين ذراعيه وهي ترتدي مريلتها

البيضاء وقد احمر وجهها من حرارة الفرن.

قال بعد أن استرد سيطرته على نفسه:

- لا.. لأن ذلك سيؤخرني.

ثم أضاف دون أن يدري السبب فيما قاله:

- لا تنتظريني على العشاء.

كان عليه أن يهرب ولم يكن هناك سبب آخر لهذا القرار المفاجئ. قال

مزجرا وهو يصعد الشاحنة الصغيرة : ليذهب "أميروز" للجحيم! في أي بركة موحلة أغرقني! قرر أيضا ألا يعود الليلة إلى هذه المزرعة اللعينة.

قالت السيدة "هيللي" بجفاء وهي تضرب كتف "ليز":

- إن مكاني هنا! كان "أميروز" يجلس على رأس المائدة وأنا هنا.

قفزت "ليز" كانت السيدة "هيللي" يمكن أن تفوز بجائزة البدانة دون منازع. خاصة عندما تصر على طرق الأرضية بعصاتها. من دقائق نادتها "ليز" كي تخبرها أن العشاء جاهز ولكنها لم تتلق منها أي رد. والآن وقد استقرت مع طفلها أمام المائدة ها هي تلك القنين العجوز جاءت كي تشيع الاضطراب أثناء الطعام. أجابت "ليز" برقة مفتعلة وأدب جم:

- اعزيني وسامحيني لم أكن أعرف أن لك الحق في مقعد محدد حتى اليوم كانت السيدة "هيللي" قد اكتفت بالدخول ومعها صينية تخدم نفسها بنفسها ثم تختفي في حبرتها. من الواضح أنها قررت الاختلاط من الآن في العائلة. تابعت "ليز" الحديث:

- كم كان يسعدني أن أترك لك مكاني للعشاء ولكن عليك حالا أن تجلسي من فضلك على الطرف الآخر من المائدة واحترمي نفسك. إلا إذا كنت تفضلين أن تنتظري حتى ننهي جميعا من العشاء وهذا يتيح لك احتلال مكانك المفضل.

زمرت المرأة العجوز وهي تهز رأسها في امتعاض ثم ذهبت لتجلس في المكان الذي حددته لها.

سال "ريان":

- هل يمكننا الخروج بعد المائدة يا أمي. لقد قلت لنا إن باستطاعتنا صناعة رجل الثلج بعد العشاء؟

- موافقة.. انهض وساعد أخاك في ارتداء حذائه البوت.

اختفى الصبيان في المكتب وأخذا يثرثران في ضجة وهما يرتديان حذاءيهما البوت بعد لحظات رن صوت امرأة في البهو:

- مرحبا يا "كيرك" يا عزيزي.. أين أنت؟

جعل هذا النداء كلا من "ليز" والسيدة "هيللي" تقسمران في مكانهما واستدارا بحركة واحدة حيث رايا فتاة شابة ذات شعر أحمر تدخل الحجرة وقد بدا عليها الذهول أيضا. اختفت ابتسامتها الواسعة وكذلك عيناها بزرقة البحر. وإن كانتا باردتين، استقرتا على "ليز":

- أين "كيرك"؟ ومن أنت؟

- "كيرك" خرج ولن يعود إلا متاخرا أما أنا "ليز" تريماين.

نهضت وتذكرت أنها في بيتها في المزرعة وليست تلك المجهولة التي لم تحاول أن تمسح حذاءها الطويل قبل الدخول. قطع وصول "جاسون" حبل الصمت والذي جاء يطلب أن تلبسه قفازه. قالت بادب:

- هذان ولداي "ريان" و"جاسون" وهذه..

قالت الفتاة الحمراء وهي تمد يدها إلى السيدة "هيللي":

- أعرف هذه السيدة.

ثم بحركة مسرحية قبلت خدي السيدة العجوز.

- هل أنت أم "كيرك"؟ لقد عرفت ذلك في الحال. لقد أخبرني أنك ستقيمين مؤقتا هنا. إنني سعيدة جدا بمعرفتك أخيرا. أنا "جين".

قالت اسمها المجرد وكأنه ليشرح كل شيء استمرت الحمراء في حديثها:

- لقد تحدث "كيرك" عني.. اليس كذلك؟

أخذت مقعدا وجلست بالقرب من السيدة "هيللي" التي لم تكن قد نطقت كلمة واحدة وظلت جالسة وفمها فاغر. تابعت "جين" حديثها:

بلهجة فيها مودة:

- اعتقد أيضا أنه حكى لك عن خلافنا الصغير ولكني أتيت كي
أصالحه.. قل لي يا سيدة "البريت" أعتقدين أنه سيرجع إلى منطق
العقل؟

نجحت السيدة "هيللي" في غلق فمها ثم فتحته لتقول:

- أنا السيدة "هيللي" ولست أم "كيرك" أنا شريكته في الميراث.

أزعج هذا الخبر الشابة الحمراء لدرجة كبيرة:

- اتقصدين أن تقولي إنه ليس الوريث الوحيد للمزرعة؟ ولكن..
ماصلته بالآب "أميروز"؟

تمنعت كل من السيدة "هيللي" و"ليز" بقسوة. أعلنت السيدة "هيللي"
بجفاء:

- هذا لا يخصك ومن لحظة وجودي هنا في بيتي تماما مثل "كيرك"
البريت" فإنني أمنعك من أن تدخلني هنا دون أن تطرقني الباب.

- أنا.. بالتأكيد.. أرجو المعذرة...

أصبح صوت "جيننا" مجرد همس رقيق:

- لقد ظننت أنني قريبا سأصبح في بيتي في المزرعة ولكن عندما رقد
العجوز "أميروز" مريضا... فإن "كيرك" تغير..

وضعت يدا أظافرها شديدة الحمرة على ذراع السيدة "هيللي" وقالت:

- من فضلك ساعديني. أنا أحبه حقا ولكنه مثل كل الرجال يتصرف
أحيانا في عناد. أريد فقط أن يستمع إلي وهذا كل ما أطلبه.

حررت السيدة "هيللي" ذراعها وظل وجهها متجهما:

- ليس لي أي نفوذ على هذا الولد يا أنسة. إنه قاسي وسوقي ولا
إحساس عنده كما كان أبوه. وأنت يا "ليز" أنصحك ألا تنساق ورائه
في المغسلة. إن هذا الولد صورة مشوهة لوالده الذي كان يستخدم

سحره ووعوده اللانهائية كي يحتفظ بمديرة لمنزله دون أن يدفع لها
أجرها.

سارعت "ليز" بإخراج الطفلين وتساءلت عما رآته السيدة العجوز أو
سمعتة حقا. استقرت عينا "جيننا" الباردتان على "ليز".

- هل كنت أنت و"كيرك" تقامران في المغسلة؟ أريد أن أقول لك شيئا.
عندما نتزوج أنا و"كيرك" لن يكون هناك مكان لمديرة بيت أو لآي امرأة
أخرى.

ضغطت "ليز" على شفطيتها وقررت ألا تظهر تأثرها بكلماتها الجارحة
قالت:

- أرجو أن تعذراني انتما الاثنتان لأنني سأنضم إلى ولدي.. إلى
اللقاء يا "جيننا" لقد سعدت بمعرفتك.

خرجت "ليز" دون أن تضيف شيئا وعندما عادت فيما بعد لم تدهش
عندما رأت مائدة الطعام لم ترفع بعد وأن المطبخ كان في فوضى كبيرة.

وصل إلى سمعها من الصالون محادثة ساخنة أدهشتها كانت "جيننا"
هولاند" والسيدة "هيللي" متعاطفتين. شيء غريب!

- نادت على ولديها وأرسلتهما إلى حجرتهما ليناما بعض الوقت
وعندما هبطت الدرج رأت باب المدخل يفتح ويدخل "كيرك" يصاحبه

"مارس" كان متجهما وبدا عليه العناد. قالت "ليز" بمرح لا داعي له:

- هاللو.. لقد اعتقدت أنك لن تعود هذا المساء أزال الثلج من فوق
حذائه ونظر إليها في تحد:

- لقد غيرت رأيي.. إنه بيتي قبل كل شيء ولن يضطرنني أحد أن أبقي
خارجة.

أصبحت عينا "ليز" شبه معتمتين:

- ولكن.. من أجبرك على البقاء في الخارج؟ لست أنا على أية حال.

قال متأسفاً:

- لا.. لست أنت.

في خطوات سريعة وصل أمامها ووضع يديه المثلجتين على عنقها العاري واخترقت عيناه عينيها ثم قال معترفاً:

- ولكن هذا.. نعم.

- ماذا؟

شدت "ليز" قامتها ورقبتها حتى تستطيع أن تتلقى قبلته الطويلة الحارقة.

الفصل الرابع

قال "كيرك" في نفسه إنه مغفل تماماً. لقد حلم مدة طويلة بهذه اللحظة مع "ليز". بالضبط منذ أن تعرف على "ليز تريماين" ولكنه لم يكن يجرؤ على لمسها.

قال لها في رقة:

- أه.. يا "ليز" كم هو رائع أن أكون معك.

كانت جالسة فوق المائدة حتى تكون على مستواه وعيناها تخترقان عينيهِ. كان قلباهما ينبضان وكان كلامهما مطرقة وأصبح كل منهما يتنفس بصعوبة. ارتعدت شفاتها وحولت رأسها ولكنه أمسكها بيديه.

- دعيني أتمتع بالنظر في أعماق عينيك.

تصلب جسدها في الحال وظهر لمعان غاضب في عينيها ودفعته بعيداً عنها وهي تصيح:

- إنك تفسد كل شيء.. دعني أرحل.

- ولكن ماذا قلت أو فعلت جعلك كالجنية الثائرة؟

قالت "ليز" في نفسها إنني مجنونة تماما. أن أصبح عشيقه هذا الرجل هذا الصباح وعشيقة أخرى تنتظر في الصالون وتناثر مع السيدة "هيللي" وأنا أتعرض للمؤامرة كما تقول تلك العجوز الشمطاء بواسطة رجل جلف غير متحضر.. يا إلهي! في أي بركة عفنة دفنت نفسي.

قالت له:

- لابد أن نعيش سويا وإذا تصرفت كريف في فظ فإن تحقيق المعاشية يصبح مستحيلا. احتفظ بعواطفك لنساء غيري، لأنني لا أريدها.
- اسمعي يا "ليز"، أنا رجل وأنت امرأة ونعرف ماذا نفعل وأنا لم أجبرك على تقبيلي.
دافعت عن نفسها:

- لقد أخذتني على غرة دون أن انتبه وكذلك لدي مفاجأة من أجلك
أيضا. إحدى صديقاتك الشابات تنتظرك في الصالون.
سالها وهو متجههم:
- من؟

أخذت "ليز" تضحك وأخذت حقيبة ورقية ضخمة تحتوي على التموين الذي أحضره وأعلنت من فوق كتفها وهي تتجه نحو المطبخ:
- وهل هذا يهمني في شيء؟
أعلن في غضب:
- بالتأكيد.

جلس على مقعد وخلع نعله. تساعل من تكون تلك المرأة؟ منذ وفاة "أميروز" لم يقم أي علاقة مستمرة مع أي فتاة. ببساطة لم يكن لديه الوقت جاءه صوت "جيننا" في هذه اللحظة فتجههم وجهه.

قالت:

- اعتقد أنني سمعت صوتك يا عزيزي.

نهض عندما رآها تقترب.

- اللعنة إذا كنت..

لم يستطع أن يكمل عبارته، لأن "جيننا" أغلقت فمه. ظل لا حركة مذهولا وقد اتسعت عيناه على آخرهما وركزهما على وجه "ليز" المغلق والواقفة عند باب المطبخ. أخذت تتأمل منظر القبلية الاستعراضية دون أن تحاول الاختفاء، تمكن "كيرك" أخيرا من أن يتحرر. أخذ يبحث عن الكلمات التي يمكن أن تقنع "جيننا" بطريقة حاسمة أن كل شيء بينهما قد انتهى من وقت طويل ولكنه قبل أن يجد الصيغة المناسبة، وجهت "جيننا" كلامها بوقاحة إلى "ليز":

- هل تتكرمين وتتركيننا بمفردنا؟ إنني أنا والسيد "البريت" نحب بعض الخصوصية. اليس عندك ما تفعلينه، مثلا أن تنظفي الحمام..
- "جيننا"!

قفزت المراتان أمام صوت "كيرك" الرهيب.

- من تظنين نفسك؟ أتعرفين لمن توجهين الحديث؟

- أوه. حسنا يا عزيزي "كيرك" لقد شرحت لي السيدة "هيللي" كل شيء. أعرف إلى أي درجة أنت غارق في الأعمال المنزلية وكذلك.. اسمع يا عزيزي الأمر في منتهى البساطة.. أنا لا أستطيع أن أعيش بدونك وأعرف أن في أعماق نفسي أنك ترغب في أن أتي لاستقر هنا وكذلك..
- أن تقيمي هنا؟ كل ما أرجوه يا "جيننا" أن ترحلي إلى الجحيم.

- ولكن.

- ولكن لا شيء.

أمسكها من ذراعها وقادها حتى باب المدخل. رأتها "ليز" يعبران

الدهلينز والبهو. لا فرق أن "جينا" دخلت من باب المطبخ مثلها هي والطفلان و"كيرك" يعرف ذلك. إن تلك الحمراء ليست من النوع الذي يدخل في سرية. صاح في ثورة:

- بالنسبة لما تسميه أعمالا منزلية فإنني دون شك لست ماهرا ولا كفا ولا لكني أعرف جيدا أن أقول لك بقوة لا تضعي قدميك هنا مرة ثانية وقد كررت عليك ذلك عدة مرات.

خرجت السيدة "هيللي" في اللحظة التي انتهى من عبارته. تدخلت لتغطي على احتجاجات "جينا" وقالت:

- ماذا يعني هذا المشهد أيها الشاب؟ لماذا تطرد هذه الشابة المسكينة؟ اتركها في الحال.

دون أن يجيب عليها أمسك "كيرك" بالمعطف الخاص بـ "جينا" والذي علقته على الشماعة وناولها لها.

- يا سيدة "هيللي" إنني سعيد بالتخلص من سيدة. هي غير مدعوة ومن فضلك لا تتدخل في ما لا يعنك. ردت العجوز:

- كيف تقول إنها غير مدعوة. أنا التي استقبلتها وأنا التي ادعوها. في الحقيقة إنها ستتناول العشاء معنا.. اليس كذلك يا ابنتي الصغيرة؟ قالت "جينا" في انقصار:

- شكرا يا عزيزتي "أولجا".

ثم استدارت نحو "كيرك":

- أترى يا عزيزي أنني ساقية.

كان كعبا حذاءها طويلين حتى جعلها في طول "كيرك" تقريبا. لاحظت ذلك "ليز" ودهشت، لأنها تظهر ضعيفة ورقيقة لهذه الدرجة. قالت "جينا" متوسلة:

- من فضلك يا عزيزي لا تغضب مني لأنني لم أرد أن أجرح مشاعرك

ومشاعر مديرة أعمالك الصغيرة. ساكون لطيفة مع كل الناس وأعدك بذلك يا "كيركي".

"كيركي" حاولت "ليز" أن تكتم ضحكتها من هذا اللقب المضحك. قالت في تهكم:

- نعم.. دعها تتعشى هنا يا "كيركي" فلدينا لحم مشوي.

استدار نحوها وعيناه مشتعلتان غضبا:

- لا تتدخل في الأمر.

ثم واجه "جينا".

- لا يهمني من دعاك.. لست موضع ترحيب هنا و..

تدخلت السيدة "هيللي" وهي تضع يدها على كتف الضحية:

- بلى إنها موضع الترحيب وأنا التي دعوتها اتبعيني إلى حجرتي يا ابنتي العزيزة. لن ندعها يهاجمان صداقتنا.

ولكن قبل أن تبتعد المرأتان، انفتح الباب الخلفي في ضجة صاحت "ليز":

- ماذا حدث هل تعود الناس هنا على عدم طرق الباب؟

كانت القادمة "كريستي" تشاندلر وكان معطفها وحذاءها الطويل مغطيين بالثلج. هزت شعرها الأشقر. وصاحت:

- يا إلهي! كم هذه الرائحة لذيذة؟ ما هي؟

قالت "ليز":

- لحم مشوي.

عندما رأت "كريستي" "جينا" كتمت بصعوبة امتعاضها. كان المشهد مليئا بما أسعد "ليز" جلست على الدرجة الأولى من السلم كي تشاهد تتابع الأحداث. قالت مقترحة:

- لماذا لا تبقي لتتناولي العشاء؟

أفلتت من كيرك زمجرة تبعها تجههم وجهه ولكن كيز لم تعره
انتباها. واجهت كريستي "جينا" بشراسة:

- ماذا تفعلين هنا؟ اظن أنك أصبحت جزءا من الماضي.

اجابت غريمتها وهي تزمجر:

- خطأ.. وانت؟ ماذا اتيت تفعلين هنا؟

- أه.. حسنا! إنني مدعوة على العشاء.

كانت ابتسامتها مليئة بالمكر وقررت "كيز" أن تلك الحسنة تعجبها.
كان الموقف فكاهيا ويصبح أكثر فكاهة لو تعاركت المراتان. تابعت
كريستي:

- شكرا يا "كيز" إنني اقبل دعوتك ولكني اتيت فقط كي ادعو طفلي
إلى بيتي يوم السبت القادم وساعطيها دروسا في الروسية.

وضعت "جينا" يدها على ذراع "كيرك":

- هل يمكن يا عزيزي أن نذهب إلى المدينة للعشاء سويا؟ أحب جدا
أن أراك في خصوصية وسأريك إلى أي حد أنت مخدوع وأتك.

في هذه اللحظة تكلف أحدهم مشقة أن يطرق على باب الدخول.
تخلص "كيرك" من "جينا" وفتح ضلفة الباب. كانت فتاة أخرى ذات شعر
أحمر التي دخلت. عندما رآها "كيرك" رفع يديه إلى عينيه في حركة تدل
على يأسه وأراد أن يختفي ولكن القادمة الجديدة أمسكت به ورفعت
نفسها على أطراف أصابع قدميها وقبلته على خده، وقالت بصوت عال
دون أن تخجل من الموجودين:

- كم رائحتك طيبة.. أمسك هذه.. ألا تريدها؟

وضعت في يديه حلة مليئة بشيء ما لم تره "كيز" رفع عينيه إلى
السماء في تقطيب ممتد.

صاحت الشابة الحمراء وهي تخلع نظارتها:

- هاللو! "جينا"! لم أكن أتوقع أن أراك هنا يا ابنة العم العزيزة.. لقد
اعتقدت أنك أصبحت جزءا من الماضي.

- أوه! حتى أنت! لقد أصبح الأمر مملا!

لم تنتظر القادمة الجديدة الرد وإنما وجهت الحديث إلى كريستي:

- أوه حسنا.. إن المرء يظن أنه في ناد للنساء هنا ثم توجهت إلى
السيدة هيلي:

- هل تتذكريني؟ أنا "باتي فونتين" ابنة "اليس" و"مرانك". لم أكن
تجاوزت الثالثة عشرة من عمري في آخر مرة رايتني فيها وتغيرت دون
شك ولكنك لم تتغيري. لقد اتيت لأن أمي طلبت مني أن أحضر هذا
الطبق الذي لا يحتاج إلا إلى تسخين كهدية ترحيب. إنها تصر على أن
تقول لك إلى أي مدى هي سعيدة لأنك عدت بيننا في الوادي. إنها تدعي
أن نادي الثلاثاء لم يعد كما كان منذ رحيلك وأنا اتعشم أن تعودني إليه
في المرة القادمة.

ثم تشممت في إعجاب واستغراب الرائحة الشهية الصادرة من
المطبخ ثم قالت:

- يا إلهي العظيم! لقد نسيت روعة طهيك يا سيدة "هيلي".. يا
للرائحة اللذيذة!

تدخلت "كيز" وهي تنهض:

- إنه اللحم المشوي.. أنا "كيز تريماين" ويسعدني أن تبقي لتتناولي
معنا العشاء.

قبل أن تجد "باتي" الوقت لترد، طرق أحدهم على باب المطبخ. تبادل
"كيز" نظرة متسائلة مع "كيرك" ثم ذهبت لتفتح الباب. قالت سيدة ذات
شعر خطه الشيب وارتدت نظارة طبية سمكة:

- هاللو! أنا "ديزي كراندال" مرتلة أناشيد في الكنيسة "سان جون"

هل أنت "أولجا هيلي"؟

- لا .. ولكنها موجودة هنا .. من فضلك ادخلي إذن .

قادت السيدة نحو البهو حيث اجتمع حشد صغير لا يكف عن الزيادة والتضخم . اعلنت "ليز" :

- يا سيدة "هيلي" اقدم لك المنشدة "ديزي كراندال" .

صاحت المنشدة وهي تسارع نحو يد "كريستي" وتصافحها بشدة :

- أوه يا عزيزتي "أولجا" إنتي سعيدة جدا بلقائك، وجهت "كريستي" المنشدة إلى الاتجاه الصحيح .

- أنا منشدة تراتيل في الكنيسة التي كان يحضر إليها "أميروز" في أيامه الأخيرة . وعلمت أنك ستصلين وأتيت كي أتمنى لك إقامة سعيدة وأدعوك إلى سهرة الصلوات والدعوات يوم الأربعاء القادم .. أوه .. ما الذي ينشر تلك الرائحة اللذيذة هنا؟ من دعوت على العشاء؟

رد "كيرك" في ضيق :

- كل المجتمع حولنا .

قالت "ليز" وهي تبسم في مكر :

- إنه لحم مشوي ويسعدنا أن تنضمي إلينا .

صاح "كيرك" في صوت منخفض :

- يا إلهي الرحيم! اظن أنني سأضطر إلى ذبح الثور الضخم إذا استمر الحال على هذا المنوال .

فكرت "ليز" إنه يستحق ذلك وسيعلمه أن يكف عن توزيع قبلاته على اليمين وعلى الشمال .

قالت "ليز" تطمئنه :

- لا تخف فإن اللحم المشوي ضخم .

في هذه اللحظة دخل "جاسون" وهو يفرك عينيه :

- ماما! لقد حلمت حلما!

علق "كيرك" وهو يضع الحلة بين يدي "ليز" :

- وأنا كذلك . لقد حلمت بحياة هادئة ورائعة وسط الوحدة في الشتاء .. ولكن ماذا حدث لي إذن؟

أدار نظرات منكسرة حوله . صاح "ريان" وهو ينهب السلم نهبا بدوره :

- ماما! ما هذه الرائحة اللذيذة؟

رددت فرقة كورال السيدات :

- اللحم المشوي .

- وحلوى الشوكولاتة كما وعدتنا أمنا .

احس "كيرك" بالدوار وأمسك بدرابزين الدرج وهمهم في نفسه "حلوى الشوكولاتة؟" إنني لا أفهم شيئا! لا .. إن هذا أكثر مما أحتمل!

فتح باب الخروج ثم أغلقه خلفه في ضجة شديدة . جلس الجميع حول المائدة .. كان جمعا غريبا ومسلما وفكرت "ليز" في حالة يأس عندما عاد "كيرك" ووقف على الباب وهو يراقب كل الرؤوس ثم ركز عينيه أخيرا على "ليز" . رفعت حاجبيها متسائلة :

- لقد اعتقدت أنك رحلت؟

زمر :

- لقد رحلت وعدت .

كان من يسمعه يعرف أنه هو نفسه في دهشة من عودته .

تدخلت "جينا" وهي تنهض لتذهب إليه :

- يا عزيزي أنا سعيدة للغاية . لأنك عدت . عندما ينتهي العشاء

سنتبادل الحديث أنا وانت في هدوء .

بهدوء وحزم أمسك برسغها وأعادها إلى مقعدها ثم خلع سترته

بينما أبدعت "ليز" ما بين مقعدي طفليها لتفسح له مكانا بينهما. قال
عندما وضعت أمامه طبقه:

- شكرا يا "ليز".

أخذ نصيبا كبيرا من اللحم المشوي الباقي وغطاه بكمية كبيرة من
الصلصة ثم أضاف بطاطس مقلية ثم انتقل إلى طبق "باتي" المكون من
كوسة بالطماطم أعلن في رضاء تام:

- همم! لقد عدت من أجل هذا و..

أدار نظره بطريقة مطولة نحو "ليز":

- هذا.. وطعم الشوكولاتة.

بدأت "ليز" ترتجف داخليا ثم تملكها الغضب:

- ماذا يتصور؟ أن أضيف ذلك إلى قائمة الطعام؟ أم هل يريد أن
يستغلني كي يبعد الأخريات؟

عندما التهم "كيرك" آخر قطعة من فطيرة الشوكولاتة تمطى على
مقعده في سعادة وقال:

- لذيذة.. شكرا يا "ليز".

- هل يريد أحد قهوة؟

أعلنت "جين" وهي تنهض:

- نعم.. أنا و"كيرك" سنتناول القهوة ويمكنك أن تحضرها إلينا في
الصالون.

تدخل "كيرك":

- لا.. لا مجال للمناقشة إذا كنت تريدين قهوة فعليك أولا أن ترفعي ما
على المائدة وتنظفها.

نهضت "جين" وانفها في السماء:

- يجب علي.. ماذا؟

قال ببرود تام:

- لقد فهمت جيدا ما قلته.

كانت النظرة التي ألقتها "جين" على "ليز" كلها غضب وثورة ولكنها
وجهت الكلام إلى "كيرك":

- وهذه.. ماذا ستفعل في هذا الوقت؟

- هذه.. سترتاح لأنها تستحق الراحة.. من في رأيك أعد هذه الوجبة

لكم جميعا؟

بدأت علي "باتي" السعادة والمرح وقالت:

- لقد شبعت وتمتعت بهذا الطعام.. شكرا لك يا "ليز" رغم أن "كيرك"

لم يدعنا. وحتى دون أن يطلب مني فإنني كنت أنوي رفع المائدة. وإذا

أحببت فإنني سأجمع الألوان وانت يا "كريستي" تضعينها في غسالة

الصحون. أما أنت يا ابنة العم العريضة "جين" اتفكرين في أن تعرضي

أظافرك الجميلة للاتساخ لو نظفت المائدة؟ لا تنسي أنك في يوم ما

اعتبرت نفسك زوجة مزارع.

- ولكني.. يا "كيرك" أين ذهبت؟

أعلن وهو يخلع سترته:

- سأذهب لأحلب البقرة.

- سأتي معك.

قال "ريان":

- هل أستطيع أن أتي أنا أيضا؟

- موافق.

ثم انتبه إلى نفسه وبحث بنظره عن "ليز" ثم استدرك:

- بشرط أن توافق أمك.

استسلمت "ليز" وهي تتنهد:

- موافقة ولكن عليك أن تعود في الحال يا "ريان" عند انتهاء عملية الحلب وتذهب مباشرة إلى البانيو .

رحلت كل من "جين" و"كريستي" عندما انتهت "ليز" من حمام "جاسون" وابتدت لتبحث عن "ريان". انتهت "باتي" من تنظيف المطبخ وظننت "ليز" أنها قامت بكل العمل.

قالت لها بامتنان:

- شكرا لك.. إن المطبخ أصبح رائعا.

- لقد أسعدني ذلك.. ولكن لابد أن أرحل بسرعة فقد عاد الثلج يهطل. أخذت الحلة التي أحضرت فيها الكوسة والطماطم اللذيذة التي وزعتها على الضيوف.

- إن ولديك ساحران يا "ليز". ما رأيك في إلحاقهما بمدرسة القرية؟ إنني أعطي فيها دروسا وهناك حضانة للصغار من سن "جاسون". وهذا سيخلق أصدقاء لولديك خاصة ولا يوجد الكثير منهم في هذه الناحية. صحبت "ليز" الشابة حتى باب الخروج. فكرت في كلمة "الناحية" وتساءلت: هل هناك جيران قريبون منها؟

- لا دون شك. قالت لها بركة:

- شكرا وسافكر في الأمر.

هبط الثلج ثقيلًا بعد رحيل "باتي" وعندما أغلقت "ليز" الباب نظرت إلى ساعتها. من وقت طويل لابد أن "ريان" في سريره. خلعت حذاءها الطويل ومعطفها وقررت أن تبحث عنه في الإسطبل.

قال "كيرك" شارحا لـ "ريان":

- أنت تمسكه هكذا.

كان هو و"ريان" مقرفين أمام شيء ما وكانا جالسين فوق مقاعد منخفضة صغيرة بدون ظهر في الحجرة الصغيرة الملحقة بالإسطبل

وقد أعطيا ظهرهما للباب.

- ثم.. لا تتصلب.. تبعده عنك ولا تجعله يقترب منه والآن أدر الذراع ببطء.

حسنا هذا طيب جدا!

- هل يمكنني أن أفعل هذه الأشياء مثلك فيما بعد؟

- بالتأكيد تستطيع.

- هل ستعلمني حيلة أخرى؟ هل يمكنني أن أدير المزرعة عندما أكبر؟ - كانت ابتسامة "كيرك" حانية وهو يمرر يده الكبيرة على شعر "ريان". أحست "ليز" بانقباضة في قلبها وتساءلت أن دورها صغير في هذا المشهد، إنه حديث بين الرجال ولا تستطيع أن تكون سوى شاهدة له.

سالت "ليز" وهي تخطو خطوات قليلة نحوهما:

- ماذا تريد أن تعلمه؟

استدار "ريان" كان ممسكا بمطواة مفتوحة السلاح في يده وقطعة من الخشب في اليد الأخرى:

- انظري يا أمي.. لقد سمح لي "كيرك"!

أغلقت "ليز" عينيها لحظات في رعب. هذا هو ما يتسلى به الرجال عندما يكونون معاً! الرحمة يا ربي! لقد وصلت في الوقت المناسب.

- أرى.. أرى يا "ريان" أعد المطواة في الحال إلى "كيرك" وخذ بالك جيدا.

أطاعها دون اعتراض. كان صوت أمه حادا.

- والآن ضع طاقيتك الصوف على رأسك وأغلق معطفك وعد إلى البيت وسألق بك في الحال ولكن أولادي كلمتان أقولهما لـ "كيرك".

كان "ريان" على استعداد للتمرد وقد تقلصت شفته السفلى ثم

ارتجفت. سالها:

- هل أنت ثائرة، لأنني أمسكت المطواة؟

- لا، ولكني لا أريدك أن تلمسها بعد ذلك. اذهب بسرعة إلى البيت
وادخل الفراش وانتظرنني.

قام وسار وهو يجز ساقيه. قام "كيرك" ببطء وأغلق المطواة ووضعها
في جيبه.

- لا توبخي هذا الصبي يا "ليز" إنها غلطتي. لقد سألني عن صنع
هذا.

أشار بإصبعه إلى رف مرصوص عليه تماثيل، رؤوس غريبة من
الخشب معظمها بالطريقة السيريلية.

- لقد أجبتك بأنني صنعتها وطلب مني أن أعلمه كيف يصنع مثلها.
فابي الذي علمني الحفر على الخشب.

التوت شفتاه في مرارة ثم استأنف الحديث:

- أخبرني "ريان" أنه بلا أب وأن علي أن أعلمه.

دفع "كيرك" شعره الأشقر للخلف وبدأ ساهما:

- إن هذا يذكرني بطفولتي... لم يكن لي أب وأقنعوني أن ذلك لا أهمية
له.

خبت كل ثورة "ليز" الغاضبة ومع ذلك فإنها لن تدع هذه الحادثة تمر
بسلا. إن حياة ولديها في خطر.

قالت:

- ولكن يا "كيرك" في الحقيقة فإننا لا نعطي سكيناً حاداً كهذه إلى
طفل في الرابعة كي يلعب بها.

- إنه لا يلعب بالسكين. لقد علمته كيف يتعامل مع الخشب ولم أرفع
عيني عنه لحظة ثم إنه سيبلغ الخامسة من عمره قريباً.

أطلقت زفرة ضجر:

- هل قال لك إنه لاحق له في لمس السكاكين؟

- أوه... حسناً.. نعم لقد حددت له المهمة وهي ألا يلمس السكاكين
للعب بها وإنما في النحت بكل أمان.

- من فضلك يا "كيرك" حتى في النحت لقد منعتك كلية أن يعود إلى
تلك التجربة.

- اسمعي يا "ليز" أنا..

صاحت وهي تخطو خطوة للأمام:

- لا. إنهما طفلاي وأنا التي أعطيتهما التصريح وأنولى المسؤولية.
وليس أنت. لقد فاض بي الكيل من الصراع من أجل حمايتهما ولا

أسمح بأي تدخل من جانبك.. هل هذا واضح؟

لم يقل شيئاً وإنما نظر إليها من أعلى وبعد فترة استدارت وخرجت
في خطوات منتظمة من الإسطبل وتركت خلفها. أحست ببرودة وهو
ينظر إليها وكأنه يخترق جسدها وكان إحساسها حقيقياً مثل ندف
الثلج التي كانت تصفع وجهها.

لابد أن تذهب! لماذا تظل في هذه المزرعة مع رجل مثل "كيرك" الذي
يتدخل في تعليم ولديها وفي وجود كل تلك النساء وقبالاته.

دخلت من الباب الخلفي وظلت بلا حركة في المطبخ في الدفء وبعيدا
عن الريح والثلج مع الثلاجة الكهربائية المليئة بالتموين.. الرحمة..

الرحمة! هل يجب أن تترك كل هذا؟ مستحيل. قررت أن تمنع "كيرك"
منعاً باتاً من تولي تعليم الصغيرين وعليه أيضاً أن يحتفظ بقبالاته له.

بعد أن وضعت "ريان" في سريره تذكرت تلك النظرة الوالهة التي
ركزها ابنها على "كيرك" والطريقة التي كان يستمع بها إليه بإعجاب

وشغف. إن الطفلين في حاجة إلى أب وهذا أمر واضح ثم قبل كل شيء

فإن "كيرك" يعتني بهما بكل انتباه، كلما زاد تفكيرها في الأمر رأت أنها ربما كانت مخطئة بالنسبة لتلك المشاكل مع الكلب وعملية حلب البقرة والجواد... لقد كانت موضع سخرية في كل مرة وبسببها دست رأسها فوق الوسادة ثم انهمكت في قراءة رواية وهي غاضبة. ولكن من الأفضل أن تغلق الكتاب، لأنه لا يوجد شيء يمكن أن يشتت ذهنها بعيدا عن "كيرك" في سحره وقوة زراعته، إن طفليها ليسا في حاجة إلى أب فقط وإنما هي أيضا في حاجة إلى "كيرك" هددت صائحة وهي تدس فمها في الوسادة:

- لا.. لا على الإطلاق.

جلست "ليز" وهي تتأوه على حافة السير وتتطوح للامام والخلف وعقدت زراعها على صدرها.

- أوه يا إله العالمين!

أخذت ربح محملة بندق الثلج تصدم زجاج النافذة. لا يمكن أن يكون الصباح قد أشرق خلف النافذة وسط هذه العتمة التي تسود الجو. عندما نظرت إلى المنبه أخبرها أنها الخامسة والنصف. إنه وقت إعداد الإفطار من أجل ذلك المزارع الشره الذي سيطلب دون شك أطعمة تثير الاشمئزاز في الصباح الباكر مثل قطعة من لحم الستيك أو بطاطس مقليّة وكمية هائلة من مواد الطعام التي تزيد من نسبة الكوليستيرول لدهشتها استقبلتها رائحة قهوة طازجة عندما دخلت المطبخ. طلبت لنفسها قدحا وجلست ووضعت ذراعها على المائدة وهي لا تزال تصارع النعاس ثم وضعت عليه رأسها. لا يزال أمامها بضع دقائق قبل أن تبدأ العمل.

الفصل الخامس

ايقظت رائحة اللحم المحفوظ اللذيذة وهو يقلى "ليز"، انتصبت في جلستها ورات "كيرك" في نشاط يعمل امام الموقد. صاحت وهي تقفز فوق قدميها.

- أوه.. أنا أسفة جدا.

- دعني أقوم بها. إنها من صميم عملي.

امسكت زراعته في اللحظة التي كان يقلب فيها شريحة من البيكون على الوجه الآخر.

قال لها وهو يضحك:

- اجلسي. أنت متعبة لدرجة أنك تجدين صعوبة في فتح عينيك. إنها ليست الساعة المناسبة لاستيقاظك.

- ولكن.. لو...

تجاهل احتجاجاتها ووضع ذراعها على كتفها وأجبرها على

الجلوس. أخذت تراقبه وهو يصب القهوة في براد القهوة الكهربائي حتى امتلأ. ثم جلس قبالتها كان الإغراء كبيرا أن يمسك بيدها المستريحة على المائدة ولكنه تذكر نتائج ما سبق أن فعله وأمرها له ألا يلمسها. كانت مغرية بشعرها الذي عقدته على شكل صغيرة القتها على كتفها وبرائحة الصابون التي تشبه عسل النحل.

- بصراحة يا كيرك لقد استيقظت. إنه عملي أن أعد الإفطار.. وإذا نمت مرة أخرى فإنني كنت في الحقيقة انتظرك..

تفاعبت مما قطع حبل كلامها. جلس كيرك أمامها وقام بكسر ثلاث بيضات وأخذ يخفقها بشوكة. استأنفت حديثها:

- أتدري! لقد وافقت على شروط وصية 'أميروز'. إن علي أن أقوم بأعمال المطبخ.. لا.. لا تناقشني.

اكتفى بالابتسام:

- حسنا.. ولكنك لن تبدلي إلا من الغد.

لقى العجة في طاسة وراقب نضجها بينما كانت تسخن التوست وتضع عليه الزبدة.

قال معلنا وهو يعاود الجلوس:

- ها أنا قد انتهيت. تذوقي هذه.

- ولكني لا أكل شيئا في هذا الوقت المبكر من الصباح إنني أنتظر طفلي وهذا يمنحني ساعتين من الراحة مالت عليه كي تعلق في لهجة سرية:

- إنه عمل بربري أن تذهب لحلب البقرة في مثل هذه الساعة. لماذا لا تعودها على تغيير عاداتها.

قال وهو يهجم على إفطاره:

- إن الأبقار حيوانات تستيقظ مبكرة وأنا مسرور من طريقة حياتها

والأمر ليس صعبا في الشتاء. ولكن في الصيف عندما تبدأ في التوالد يحدث أن أعمل اثنتي عشرة ساعة في اليوم وغالبا أكثر من ذلك.

وضعت قرح قهوتها على المائدة.

- أوه.. إذن فهمت لماذا تريد من 'ريان' أن يتعلم حلب اللبن.

ضحك أمام دهشتها:

- بالتأكيد نعم وأتشم أنه عندما يبلغ السادسة أو السابعة من عمره يستطيع أن يقود جرارا وفي الثامنة يمكث بثور عن طريق الانشودة أتدري! أنا أسف بالنسبة لموضوع المطواة لقد كنت على حق تماما عندما أكدت أنه لا يزال صغيرا جدا. ساعمل على عدم إغضابك بالنسبة لموضوع تعليم ولديك.

وافقته في خشونة:

- موافقة وحن الوقت أن اعتذر بدوري لقد كنت خشنة بعض الشيء وكان علي أن أثق بك.

- شكرا يا 'ليز'!

تقابلت نظراتهما وامتدت إلى اللحظة التي لم تعد فيها 'ليز' تملك نفسها.

قالت:

- أوه! يا كيرك هل يمكن أن أطلب منك شيئا؟

نصيحة لا يستطيع أن يقدمها لي سوى رجل؟

- بالتأكيد!

- هل تعتبرني أحميها أكثر من اللازم؟

انتظرت إجابته في قلق وهي تركز على شفتها السفلى. ظل صامتا.

أخيرا.

قالت هي:

- أما كان من الأفضل أن أصمت. من الواضح أنك تظن أنني احتضنهما وأن حماي كان من نفس رأيك ويقول كيف تخلصت من أم كي تربى ولدا بمفردها.

وضع كوعيه على المائدة وأسند نقه فوق يديه.

- أولا أمي لم يكن لديها شخص لتفرض عليه سلطتها وكذلك كان الأمر الأسهل من الوضع بالنسبة لك. ثم .. يمكنك أن تحكمي على النتيجة حسب المنتج النهائي الذي هو أنا أمامك. ما رأيك هل أنا محطم؟ وأحب أن أخبرك أنها لم تكن بمفردها طوال حياتها في تربيتي. حدثيني عن والد زوجك (حميك) وحمايك. حسب كلام ليستر براون كانا يريدان أن ينتزعا منك ولديك. اليس كذلك؟

هزت "ليز" كتفيها:

١ - إن آل "ماكول" لم يتبنيناني في الحقيقة، أعرف أن بي بعض الدماء اليابانية ولم يكونا يستسيغان ذلك. أما أنا فكنت على استعداد أن أشاركهما في الولدين، لأنهما كل ما تبقى لهما من ولدهما ولكن أن أعيش تحت تهديد انتزاعهما مني وألا أتولى رعايتهما وحراستهما.. فلا والف لا.

- هنا لن تقامري بشيء ولن تواجهي أي خطر يا "ليز".

- أعرف ذلك. ومن ناحية أخرى فإن حمواي لم يكف عن إفساد وتدليل ولدي بطريقة مبالغ فيها. لقد عشت طويلا عندهما عندما مات "جونني". زوجي لم يكن "ريان" قد تجاوز ستة أشهر من عمره وكنت حاملا في "جاسون". وكان أعقل شيء أفعله هو أن أقبل ضيافتهما ولكنه سألها وهو يرفع أحد حاجبيه:

- ولكن ماذا؟

- ولكن الأمر لم يفلح بيننا وهكذا تركتهما من حوالي سنة ومنذ

رحيلي لم يكف عن مضايقتي لاستعادة الولدين.

القي "كيرك" باخر قطعة من لحم البتيلون إلى "مارس" الذي أمسك بها وهي في الهواء دون أن ينهض من مكانه المعتاد بالقرب من الباب.

- كيف مات زوجك يا "ليز"؟

تساءل فيما بعد لماذا لم تجبه على هذا السؤال ولكن دون شك السبب في عدم الرد أنه لم يبد عليه الاهتمام بالإجابة.

قالت:

- لقد انتحر.

حاولت أن تزيل المرارة التي سادت عبارتها فاستمرت في الحديث برقة:

- بطريقة ما أظن أن الأمر كان غلطتي.. غلطتي وغلطة والديه غلطتي لأنني حملت من جديد، وغلطة والديه، لأنهما أفسداه جدا. لقد كان رجلا يخاف من الواقع، لأن والديه أعطياه دائما كل ما يريد - كل شيء - ما عدا النجاح.

أضافت في نفسها النجاح والموهبة.

قالت:

- لقد كان هو الآخر فنانا وتقابلنا في كلية الفنون وعشنا معا حياة متواضعة. كان يقوم بالرسم بالزيت.

لقد كانت "ليز" هي التي تكسب ما يواجهان به المعيشة عن طريق صورها الفوتوغرافية.

أخذ "كيرك" يحتسي قهوته وهو يسمع قصتها أخذ يحثها دون أن يحاول أن يبدو ملحا:

- ثم ماذا؟

- ثم قام والداه بتمويل معرض ضخام لأعماله ولكنه نال الفشل الذريع

فاطلق رصاصه على رأسه.

مرت دقائق طويلة صامتة:

- لابد أنك مررت بفترة عصيبة يا "ليز".

قالت ببساطة:

- نعم.. خاصة عندما صار بالغاً بطريقة ما وبدأ يتحمل مسؤولياته.
لقد فهمت أن حمواي كانا يجاهدان كي يجعلنا من ولدي نسخة طبق
الأصل من والدهما ولم يكن عندي سوى فكرة واحدة وهي الرحيل.
حملت طبقها الفارغ إلى حوض المطبخ.

قال لها:

- والآن أنت تخشين أن أتدخل.. أنا أفهم ذلك يا "ليز" ولكني وعدتك
بالأعواد إلى ذلك مرة أخرى أبداً. على الأقل حاولت. وعذري الوحيد هو
أنني أردت أن أنقل إلى ولديك كل ما علمني أبي.
صبت "ليز" لنفسها قدحاً آخر من القهوة ثم اقتربت من "كيرك" ثم
قالت:

- أعتقد أنك لم تعرف والدك إلا مؤخراً.

- إنني لم أتحادث عن "أميروز" لقد كان أبي "مارتن البريت" وتزوج من
أمي عندما كنت في الحادية عشرة من عمري. لقد مات من إحدى عشرة
سنة ووقتها اعترفت لي أمي بعلاقاتها مع "أميروز" والمكان الذي يعيش
فيه.. إنني لا أعرف جيداً حتى الآن لأي سبب أتيت إلى هنا وأتساءل هل
أتيت كي أعر على أب بديل.

- وهل وجدته؟

ضحك وانتهى من قدح القهوة وهز رأسه.

- لا.. لقد كان "أميروز" رجلاً قاسياً ومتقلباً ولكني كنت في حاجة إلى
العمل وهو يدفع أجراً مرتفعاً كنا وسط فترة الكساد ولم يكن لدي حرية

الاختيار وأردت أن أدخل في شركة بترول ولكن لم يكن هناك مكان. كذلك
كنت أسير "أميروز" وخلال عامين قال لي إنه سيترك لي المزرعة وهو
مألاً يزال يدهشني.

- لقد كنت ابنه يا "كيرك" وحتى لو لم يكن لديه الحنان الأبوي فإن
ذلك يكفي أن تكون من صلبه.

- أنا أيضاً ابن "بيتي البريت" وهو ما كان يجعله كارهاً لها. لقد
هربت من المزرعة دون أن تخبره أنها حامل ولم تخبره أبداً أن له ابناً
إنه لم يعرف وجودي إلا عندما انتقلت إليه.

ساد السكون بينهما وقطعته "ليز" بصوت خافت في الخطاب الذي
تركه لي قال لي إن روحه ماتت عندما اختفت خالتي وأنه لم يعثر عليها
أقصد روحه إلا عندما وجهه القس "ديزي" إلى الطريق القديم.
قال معترفاً:

- إن القس "ديزي" أخرج الشيطان الذي لبسه. لقد قابله بعد أن عرف
أنه مصاب بالسرطان بقليل. أي رجل حتى "أميروز" عندما يواجه الموت
يراجع نفسه.

- وهكذا بسبب القس المحترم "ديزي" قاسمت أنا والسيدة "هيللي"
الميراث معك. إن العم "أميروز" أراد أن يظهر توبته عن مسلكه السيئ
نحو الآخرين.

- لقد عملت السيدة "هيللي" كالعبدية عنده وعمتك لو عاشت لطلبت
منك دون شك أن تأتي لتستقري في المزرعة عندما ترملت.. على أية
حال أقرباًن وجوئك هنا بمثابة مكافأة لي كانت القطعة الأم تعلق
صغارها والمطبخ حار وتسويه رائحة لذيذة للحم والقهوة وجو من
الامان مما جعل من الصعب على "ليز" أن تظل متعلقة.

قال لها:

- في كل مرة انظر إليك تجتاحني رغبة عارمة أن أضمك بين ذراعي.
- من فضلك يا كيرك.

كانت تعلم أن شجاعتها بدأت تخونها.
قالت له بأنفاس لاهثة:

- لا من فضلك.

ابتعدت عنه وعقدت ذراعيها على صدرها وأجبرت نفسها على أن
تتمالك وتستعيد سيطرتها على نفسها.
قالت بحزم:

- لا تعد الكرة من فضلك.

نظر إليها وهو يحني رأسه واستسلم :

- كما تريدن ولكن.. ولكني احتفظ بذلك للمستقبل. تراجعت خطوة
أخرى وهي ثائرة ضده، لأنه وضعها في هذه الحالة من خليط من
الرغبة والخوف حتى تسارعت أنفاسها وجعلها تقول أي شيء بلا
معنى.

قالت له:

- إنني أقدر لك لو أننا ظللنا مجرد صديقين حميمين.

- حسنا يا "ليز" لقد سعدت بأن تكوني صديقتي.

رأت الضحك في عينيه وتحرق شوقا، لأن ترتمي بين ذراعيه وأن
تدس رأسها في كتفه. مرت ثوان من القلق والصمت الذي قطعه "كيرك".
- سأنهب لإطعام الحيوانات.

ارتدى سترته الضخمة وقفازه وثبت قبعة رعاة البقر على رأسه.
وعندما فتح الباب الذي يؤدي إلى الخارج رأت أن السماء لازالت سوداء
تماما. خرج دون أن يلقي نظرة خلفه جلست أمام المائدة ووضعت
رأسها على يديها المتشابكتين وتساءلت هل سيستعيد عالمها طبيعته

في يوم ما. إنها ما إن استقرت في مزرعة "هويته" حتى فقدت عقلها
وافصحت عن أسرارها لرجل شبه مجهول بالنسبة لها. لقد أخرجها..
إن طريقة مسلكه تصيبها بالجنون أحس "كيرك" بالارتياح التام عندما
أدخل رأسه من فتحة الباب فيما بعد ليعلمهم أن عليهم أن ينتظروه على
العشاء وهو ما سيتيح له الوقت الكافي كي يأخذ نفسه. كان الثلج قد
كف عن السقوط والسماء ساطعة بكل قوة بينما كان الطفلان ينهيان
إفطارهما، أخذت "ليز" أحسن كاميرا لديها وقررت أن ترحل في مغامرة
حول المزرعة.

ولكنها ما إن خرجت مع طفليها حتى رأت "كيرك" مشغولا جدا في
وضع اللمسات الأخيرة على تمثال رجل الثلج وكان قد نحت له ذراعا
ومكنسة في يده وفوق رأسه وضع قبعة قديمة. سارع الطفلان نحوه
وهما يطلقان صيحات فرح.

قال "كيرك" وهو يرفع "ريان":

- ما رأيك أيها العجوز؟

استقرت عيناه على "ليز" التي وقفت على عتبة الباب. التصق
"جاسون" بساق "كيرك". لم تعد "ليز" تعرف ماذا تفعل ولم تجرؤ على
الاقتراب وهي تشعر بالسعادة والمهانة أمام حماس ولديها نحو رجل لا
تعرفه إلا من وقت قريب، أخيرا قررت خلع قفازها وأن تلتقط بعض
صور بالكاميرا التي علقتها في رقبتها.

صاح "كيرك":

- أخيرا عدت للعمل والتقاط صور للثلج؟

- نعم ولكني لست معتادة على الثلج ولا أعرف أي تأثير سأحصل
عليه. إن الظلال والتضاد مختلفان تماما عن المناظر الطبيعية العادية.
لقد دفعني وكيلي نحو المناظر الطبيعية الشتوية وهانذا أتمرن.

سألتها:

- وكيلك؟

شرحت له أنها أرسلت له عدة أفلام أثناء الرحلة وقالت:

- لقد اتصلت به هذا الصباح بعد الإفطار ووجدت أنه متحمس جدا أمام فكرة إمكانية أن أخذ لقطات توضح انعكاس الشمس فوق الجليد. ولكن، لأنه صديق حميم لي فإنني أخشى مجاملته وأنني لن أعرف قيمتها الحقيقية إلا بعد بيعها.

انتبه كيرك عندما ذكرت عبارة "صديق حميم" وتساءل حميم لأي درجة؟! أيقظ هذا الخبر لديه غريزة قديمة وحية جدا وهي حب التملك. فهمت "ليز" سر نفثته الحادة فهما خاطئا.

- لا تقلق... لن أهمل عملي كسيدة البيت بسبب التصوير وسيتم تغذيتك تغذية كاملة ولن أعمل في التصوير سوى ساعة أو ساعتين أختلسهما من وقت فراغي.

- ليس هذا هو الذي أغضبني.

نزع من يد "ريان" عصاة المكينة التي أخذها من التمثال وجرى مع "ليز" وراء "جاسون" الذي توجه مباشرة نحو الحظيرة. فهم الكلب "مارس" النادرة وسارع نحو الطفل ليمنع مغادرته.

كانت لعبة مسلية بالنسبة لها أن ترفع "جاسون" وتجره على مقعده في الجليد بينما استقر "ريان" فوق كتف كيرك الذي قال لها:

- يجب أن نتفق حتى نعرف ما هو أكثر خطرا بالنسبة للولدين وما ليس خطرا. ولم أنس ما تقررته. والآن ما رأيك في أن نقوم بجولة في أملاكنا؟ أستطيع أن أحدد لك الأراضي التي تضمها ويستطيع الولدان أن يمرحوا دون أي خطر.

وضع كل منهما حملته على الأرض وراقبهما يتقافزان في طريق

العودة. تردت - أليس لديك عمل آخر تقوم به؟ إنني لا أريد أن أعوقك عن أداء أعمالك المعقدة.

كتم دهشته. في العادة تشعر النساء بالسعادة عند خروجهن مع الرجال وإبعادهم عن أعمالهم، لأن العمل ليس سوى منافس لهن ويرحبن بكل ما يمنعه. قال معترفا:

- أشعر بالخجل من الاعتراف بذلك ولكن في هذه الفترة من العام ليس هناك الكثير من العمل في هذه المزرعة ما عدا إطعام الماشية وأعمال البناء ثم ماذا يمكن أن يكون أكثر أهمية من أن أبين لشريكتي المملكة التي تمتلكها؟

شريكته! رنت الكلمة بطريقة ممتعة في أذني "ليز" إنها كلمة مطمئنة. لقد مر وقت طويل لم تكن فيه شريكة لأحد ووقت أطول لم تسر فيه بجوار رجل يمسك بيدها.

عندما لاحظ كيرك أن "جاسون" يجد صعوبة في السير وسط الثلج أمسكه من كتفيه وانتهزت "ليز" فرصة تحررها من يد كيرك لتصوير كل ما حولها. كان قلبها ممتلئاً بالسعادة وهي ترى مرح ابنيها: أحدهما فوق كتف كيرك والآخر يجري بجواره وهو يطلق صيحات مرحة. إنها سعادة غير متوقعة بعد مجرد أيام قليلة في المزرعة كذلك كان من المستحيل تجاهل أنها وجدت نفسها في منطقة خطيرة بالقرب من رجل مثل كيرك.

قالت لنفسها: إن عليها أن تنتبه ويجب عليها ألا تستسلم لاهوائها بسهولة.

وجدت حصانا يدور حول نفسه في الحظيرة مما أتاح لها أن تلتقط عدة صور من مختلف الزوايا وهي تضحك.

سألتها كيرك:

- ما الذي جعلك تضحكين ؟

إنها تضحك ببساطة من السعادة والحياة دون أن تدري كان بالقرب منها، واستطاعت أن ترى نقنه وقد أصبح لونه أزرق نتيجة نمو لحية جديدة فيه وذلك اللمعان الذي يضوي في عينيه. كانت ذراع "جاسون" تخفي جبهته مما أعطى ظلا لجانب من وجهه. لم تستطع "ليز" أن تمنع نفسها من التقاط صورة لهما.

قالت:

- إن حصانك يقوم بجزء من الاستعراض.

أدار وجهه واستطاعت أن تدرس صورته الجانبية الجميلة والصالحة للتصوير مما جعلها تضبط عدستها عليه وتلتقط عدة صور. تابعتها عينا "كيرك" أخذت تضاعف اللقطات حتى انتهى الفيلم. بدلته بفيلم جديد وبدأت تصويرها هذه المرة لطفليها. "جاسون" جالس فوق كتف "كيرك" و"ريان" يلعب "مارس".

وضع "كيرك" "جاسون" على الأرض وتدحرج الطفلان فوق الثلج وهما يصدران أصوات المرح الهادرة، دهشت "ليز" عندما اكتشفت أن مرحهما انتقل إليها وهي تشاهد منظرهما.

سألها "كيرك" وهو يمسك بيدها:

- ما الذي لا يسير سيرا حسنا؟

هزت رأسها ولم تستطع إلا أن تهمس:

- لست ... لست أدري ... انظر إليهما .. إنهما في منتهى السعادة.

ترك يدها وابتسم لها وسألها:

- وماذا عن أمهما؟

- حسنا .. أنا كذلك سعيدة وأعتقد أن الريف نجح بالنسبة لنا نحن

الثلاثة.

أعلن في رضاء تام:

- رائع يا أهل المدينة لقد كنت واثقا بانكم ستعجبون بهذا المكان.

- حقا؟ وبأي نوع من التسلية .. حتى ولا صحيفة؟

- حسنا .. هناك ما يعوض ذلك.

قالت في أنفاس متلاحقة:

- ربما.

كي تظهر أي معنى أعطته لتلميحاته وجهت عدستها نحو الجبال المغطاة بالثلج التي تلمع وسط الشمس. إن التعويضات هي تلك اللقطات التي تستطيع أن تلتقطها وقت فراغها ومرح ابنيها وهما ينطلقان في حرية. ولكن كل ذلك لم يظهر في ابتسامة "كيرك" .. لا .. لا شيء.

أعلن "كيرك" هكذا أقوم بإطعام الماشية رفع "ريان" و"جاسون" اللذين اعتليا الجرار ثم وضعهما على الأرض. أصبح الطريق أكثر ملاءمة للسير على الأقدام. تبع "كيرك" و"ليز" والولدان الخط العميق من الطريق والذي يحيط به الثلج.

قال:

- يمكنك أن تري طاحونة دريس من هنا.

أشار إلى أشجار صغيرة منتشرة على المرعى عن بعد وقال وهو

يبتسم لـ "ليز":

- ينمو عشب تحتها وتزداد في الصباح أحيانا عندما يسوء الجو

وأتي إلى هنا كي أجريها بالجرار وأكومها على شكل بالات من الدريس

وأنشرها بالقرب من باب المخزن ثم أضعها بعد ذلك في العنابر الصاج.

- لقد كنت غارقا لأنني في هذه المهمة يوم وصولك وكنت أتي إلى

هنا، لأن العمل لا يحتمل التأخير.

انطلقت في الضحك وقالت:

- وأنا كنت ناثرة، لأنك لم تكن في المزرعة عند وصولي. لا غرابة في ذلك إن استقبالك لي بعد ذلك كان حارا.

تتبعت بعينيها الطفلين اللذين انطلقا جريا أمامهما مباشرة. لمس "كيرك" خدها ودهشت لكل تلك الحرارة التي انبعثت من أصبعه رغم أن جو الجبال كان باردا جدا حتى إنها اضطرت، لأن تضع قفازها بين لقطتين فوتوغرافيتين.

قال:

- لم أتاخر في تغيير رأيي... يكفي أن اتذوق... فطيرتك بالشوكولاتة حتى أصبح هالكا.

كانت عيناه تدلان على أنه يقصد شيئا آخر غير الفطيرة وتهربت "ليز" من هذا التلميح. ثم ربما رغم كل شيء يكون ممن يتمتعون بطعم الشوكولاتة وأن ما تخيلته من أفكار هي مجرد خيال. يجب عليها ألا تخلط بين الأمور وتفهم المعاني المباشرة.

كانت تعلم أنه غير محروم من الأكل وهو سعيد بذلك وبأنه ترك لها إدارة أعمال المطبخ. أما بالنسبة للحب فمن الواضح أنه غير محروم منه ويكفي أن تتذكر استعراض النساء. ثم لماذا تتابع مجرى هذه الأفكار الخطرة؟

أرادت أن تغفل من هذا الموقف فابتعدت عنه وبدأت تتزحلق على كمية من الثلوج تجمعت عند المدخل. صوبت عدستها نحو الأرض المنبسطة أمامها وحول الماشية التي تجمعت حول العلف الذي أحضره "كيرك". كان "مارس" في حالة مرح شديد وكان يتقافز حول الطفلين واللذين حصراه في ركن وكأنه قطيع صغير من الماشية. اتجه "كيرك" نحوهما احتاجت إلى مكان عال كي تستطيع أن تلتقط مزيدا من الصور فصعدت

فوق كومة من الثلج وأرادت أن تندس بين شجيرتين شوكيتين وكانت مبادرة حذينة منها. جاء "مارس" يرمح بأقصى سرعته واندفع نحو حذاءها وعقر مقدمته. بدأت تصرخ وتولول وكان عليها أن تهرب إلى المخزن ولكنها اكتفت بالصراخ بجنون وسط الثلج الذي غطست فيه. اندفع "كيرك" نحوها وهو يقول:

- ماذا حدث لك يا امرأة؟

- لقد أراد كلبك أن يلتهم قدمي.

قال وهو يساعدها على الوقوف:

- ولكن لا.. لقد كان "مارس" يقوم بواجبه وكان عليك أن تشكره. لولاه لسقطت في الزريبة وسط الثيران.

- ثيران؟ ولكني لم أظن أن لديك سوى بقر وجاموس!

- انظري قليلا يا فتاة المدينة. هناك ثيران عدوانية يمكنها أن تدهمك بسرعة وكأنها قطار يسير بأقصى سرعته.

قالت في تردد:

- ولكن.. كيف كان بإمكانني أن أتوقع ذلك؟

ضحك "كيرك" من أعماق قلبه وهو يضع ذراعه حول كتفها:

- ألا تستطيعين التفريق ما بين الثور والبقرة ولا تعرفين الفرق بين الذكر والأنثى؟ يبدو أن علي أن أعطيك دروسا في التشريح المقارن، غزت وجهها حمرة قانية وابتعدت عنه.

- أعرف الفرق بالتأكيد.. ولكن على هذا البعد لا أستطيع التمييز جيدا.

- ادرسي الأبعاد والخطوط والزوايا. إن الثيران مثل الرجال يمكن التعرف عليهم عن بعد.

اقترب منها قليلا ليستأنف حديثه:

- إنهم عريضو الاكتاف والسيقان. إن الثيران والرجال من الأنواع القوية والقاسية أما النساء فهن رقيقات.

قالت وهي تشعر بالمهانة :

- حسنا.. لست في حاجة إلى دروس في علم التشريح، خاصة وأنني أستطيع التعرف على الذكور من الإناث.

سألها بابتسامة مأكرة:

- وما بين الرجال والنساء.. أتحبين أن أوضح لك؟
- لا..

- ما رأيك في بعض الاكتشافات؟

- وما رأيك في أن نكتشف المزرعة بدلا من ذلك يا شريكى؟

- موافق يا شريكتي.

عاد الولدان يجريان وصعد الجميع فوق الجرار سألته "ليز":

- أنت تعشق مزرعتك.. اليس كذلك؟

- نعم.. هناك شيء ما في الأرض والحيوانات والنباتات الخامية وحتى تلك الأشياء التي يجب التخلص منها أو مقاومتها، كل ذلك لا أستطيع مقاومته. إطلاقا لن يحدث رغم ضالة عائد المزرعة أن أستطيع الافتراق عنها.

- اتقول مصاعب؟

- نعم.. المرض الذي يصيب الماشية والماكينات التي تتعطل والجديد الذي يهاجم النباتات وسعر الحيوانات المنحدر.. كل ذلك ممكن أن يضر وقد يقتل.

أضافت بعد تفكير:

- وكذلك مثل وصول أربعة أشخاص إضافيين؟

فكرت "ليز" في المعاش الذي يجب عليه أن يدفعه لها وفقا للوصية كل

شهر من عائد المزرعة بشرط أن تقيم فيها.

صاح وهو يبتسم:

- لا.. لا تصدعي رأسك بهذا الموضوع إن المزرعة يمكن أن تعول أربعة أفراد غيركم دون أي مشكلة..

ولكن "ليز" لم تكن مقتنعة كلية وتساعلت إن كان الغم الذي أظهره "كيرك" بعد قراءة الوصية هو السبب في أنه لن يتمتع بكل العائد سواء كان متواضعا أم لا للمزرعة.

في الحقيقة لا غرابة إذن في أنه جرح وأنه لم يكن عملا لطيفا من "أميروز" أن يحرر مثل تلك الوصية.

- إن الأمر أصبح سهلاً بعد أن تعلمت التمييز بينها.

- ولكن يوجد خطر.. اليس كذلك؟

وافقها برأسه ولكنها فكرت في الأخطار الأخرى غير المزرعة التي يمثلها كيرك ولكن لن تعرض نفسها للخطر. أخذ "ريان" يشكو:

- لن نعود للبيت يا أمي؟ إنني أشعر بالملل في ساقبي بسبب الجري.

- حسناً.

وضعت الكاميرا في جرابها وهي تشعر بالأسف على أية حال فإن الشمس بدأت تغيب خلف الأفق وهي توزع أشعة وردية على قمم التلال اللامعة من الثلج الذي يكسوها.

قالت:

- نعم.. سنعود للبيت. وستشاهد الرسوم المتحركة في التلفزيون

بينما أعد العشاء.

رغم تعب سيقانهما فإن الطفلين جريا بكل سرعة نحو البيت. تردد صوت غلق الباب خلفهما في الهواء الساكن البارد. استسلمت "لينز" وتنازلت عن إغراء النقاط بعض الصور للنهر وسطحه الفضي. قال كيرك معلقاً:

- بالنسبة لأول مرة تخشين الأحراش والمناطق البرية، يبدو أنك

تخلصت من هذا الخوف.

أخذ الكاميرا ووضعها فوق كتفه وعاداً سوياً للبيت -

- إنه يبدو ظهراً رائعاً. إن منطقتك جمالها غير عادي.

- هذا حقيقي وستجدين هنا كل ما يساعدك على ممارسة التصوير والتدريب عليه. إن الشتاء يستمر وقتاً طويلاً هنا في الجبال. واتعشم أن تنجزني..

كان يضغط على يدها بقوة حتى أحست بالآلم. وقفوا في ركن من

الفصل السادس

في نهاية ما بعد ظهر يوم قضته "لينز" في زيارة الممتلكات أدركت أنه رغم المسافة الضخمة التي قطعتها فإنها لم تتعرف على كل المزرعة وامتدادها، وفي طريق العودة قدم لها كيرك جواده وهو حيوان أسود اسمه "شيفتاين" الذي كان يقضي كل وقته أثناء الجو السيئ في الإسطبل.

قال لها:

- يمكنك أن تتعلمي ركوب الخيل. إن لك رشاقة طبيعية يمكن أن تسمح لك بالاستقرار جيداً فوق السرج.

قالت:

- أظن ذلك أنا أيضاً. أعني أنني أستطيع أن أتعلم ركوب الخيل والطفلان متحمسان جداً أمام فكرة ركوب السيسي في الربيع ولكن يجب مراعاة ألا يذهبوا إلى منطقة الثيران.

الجراج ثم رفع ذقنها ولمس الجرح الذي على خدها. نجحت في التخلص منه دون أن تقول كلمة وتابعت طريقها إلى البيت.

سألها وهو يتبعها:

- من فضلك انتظري قليلا حتى غروب الشمس إنه منظر رائع.

استدارت نحو الغرب حيث حجب سقف الجراج الرؤية عنها ثم نظرت بحدة إلى كيرك وقالت:

- ليس غروب الشمس هو الذي يهمك.

قال لها مؤكدا:

- إنني أريد غروب الشمس منعكسا على عينيك، إنهما رائعتان بلونهما المتغير: أحيانا سوداوان وأحيانا بنيتان لامعتان وهما تدلان على قلب مزاجك.

- أرجوك يا كيرك لا تحاول..

- أحاول ماذا؟

- أن تثب في عواطفك.

- ولم لا؟

- لأنه في حياتك العديد من النساء ولست في حاجة لي.

- عن أي نساء تتحدثين؟

ردت بعنف وقد استردت شجاعتها.

- "جينا" على سبيل المثال.

- "جينا"؟ إنها الماضي.

- حقا؟

تنهد، لأنه من الواضح أنها لم تصدقه ولكنه استجمع قوته ولم يعد يستطيع أن يكبح جماح عواطفه.. اللعنة! ما الذي يفعله؟ هل يفسد مستقبلها؟ أم مستقبله؟ إن هذه المرأة ليست أي شيء ولا يجب أن

يخدعها إنه لن يرتبط بسيدات أخريات بعد الآن فما هي المشكلة؟
سألته:

- وكرستي؟

تنهد وقد اجتاحته رغبة في أن يقترب منها أو يبتعد عنها بأسرع ما يمكنه. إنه يريد أن يطرد من رأسها الصغير كل فكرة مضحكة ملأتها من مطاردة النساء له.

قال لها:

- لقد قابلت كريسستي من سنتين عندما انجزع كاحلي. كانت تعمل في المستشفى في خدمة الإذاعة الداخلية. وقد تقابلنا عدة مرات ثم انقطعت علاقتنا. نحن صديقان حميمان والآن هي تواعد سائق شاحنة.
سألته:

- وباتي؟

- باتي؟

كان في شدة الدهشة حتى إنه ابتعد عنها.

- باتي؟ ماذا تريد أن تعرفي عنها؟

- أليست واحدة من صديقاتك الشابات؟

ضحك بصوت عال ومستمر وانتهى الأمر بأن انتقلت إليها عدوى

الضحك دون أن تفهم شيئا، وأخيرا شرح:

- من أي ناحية؟ عندما كانت في السابعة عشرة من عمرها تعلقت بي وخلال ثلاثة أشهر كانت تتبعني كظلي في كل مكان ولكنها كبرت وعبرت فترة الخيال. حمدا لله والآن إنها تصيبني بالجنون ولكن بطريقة أخرى.. إنها تحاول أن تلعب دور الحبيبة المفضلة كي تبعد "جينا" عني.. إن "جينا" هي الماضي ويجب إدخال ذلك في عقلها الصغير. إنها كاللزقة لا تريد أن تكتفي بال صداقة.

نجح ما بذله من مشقة في إزالة مخاوفها عن طريق الاعتراف.. ولكن ليس هناك وعود.

قالت "ليز" وهي تبعد عنه:

- الصداقة شيء ثمين وأوصيك بها بحرارة.

نظرت إليه من فوق كتفها نظرة متهمكة ثم انسلت عائدة إلى البيت. سالها "كيرك":

- هل أنت مشغولة هذا الصباح؟

دخل المطبخ و"مارس" في أعقابها بعد أن أزال الثلج الذي كان يغطي حذاءه الطويل، قدم زجاجتي لبن إلى "ليز".

وضعت الكلمات المتقاطعة التي كانت تحلها ورفعت عينيها نحوه. يا إله الرحمة! إنها لا يمكن أن تظل رزينة أمام عينيها ذات اللون الخليلط ما بين الرمادي والأزرق. يا له من رجل فاخر بقامته الممدودة وكتفيه العريضتين وشعره الملبد وكأنه خارج من معركة. قفزت واقفة على قدميها:

- لقد أرسلت الطفلين إلى الحضانة.

كانت قد انتهت من إعداد الإفطار، لأنه عندما يعود من الحلب يكون جائعا ويطلب جبلا من الطعام.

- إنه أول يوم لهما وكل ما علي هو أن أصحبهما في الذهاب والعودة. لماذا سؤالك هذا؟ هل هناك شيء ما تريد مني أن أفعله؟

كانت وهي تتكلم تتحرك بنشاط ما بين الثلاجة والموقد والمائدة لتضع كل ما يلزم لإطعامه.

- لقد أخبرتيني أن أياك سيصل غدا. وكما وعدت بأن أحضر سجادة أو اثنتين أو موكيت لصالة لعب الطفلين فمن الحكمة أن نركبه اليوم واقترح أن أصحبك عندما تذهبن لتسليم الطفلين في فترة ما بعد

الظهر واثناء تلقيهما دروسهما أن نقوم بشراء واحدة. ما رأيك؟

- اتظن أنه يمكن تسليمنا السجادة وسط النهار؟

- يا فتاتي الصغيرة أنا الحمال الذي ساقوم بنقلها وتسليمها وسط النهار. هنا نقوم بالأعمال بأنفسنا.

- من الصعب تركيب الموكيت.. هل سبق أن قمت بذلك؟

هز كتفيه بلا اكتراث:

- لا.. ليس بعد ولكني قرأت موضوعا في مقالة موثقة في مجلة متخصصة في أعمال الديكور الداخلي.

لم يذكر لها بالتحديد أنه قضى ليلتين كاملتين لم يزر فيهما النوم عينيها يحاول أن يجذب انتباهها عن طريق عرض تركيب الموكيت أمامها.

أعلنت وهي تضحك:

- إن الشرح الذي تقدمه تلك الكتيبات لا يساوي شيئا من الناحية العملية. أريد أن أراك وأنت في العمل الفعلي!

قال "جاسون" متسائلا:

- فيم يستخدم هذا؟

كان يحاول بأصابعه الصغيرة أن يحل عقدة خيط يلف ربطة طويلة وثقيلة وضعها "كيرك" على الأرض. تدخل "كيرك" صائحا:

- لا تلمسها إن هذا الخيط من المعدن وهو يجرح بشدة ويمكن أن يجرح المرء إذا لم ينتبه إليه سأنقل هذا الموكيت كما هو حتى صالة اللعب ثم نغرده على سطح الأرضية ولكن يجب إطاعتي.

كان قد تكلم طويلا لينبه الطفلين الصغيرين. صعد "جاسون" على الموكيت وكأنه يركب حصانا وهو يصيح:

- هو! كوكوت! وكان في سعادة لا توصف بينما ركع "ريان" بالقرب

من كيرك وهو يتوسل إليه:

- إنني أستطيع أن أساعد.. اليس كذلك؟

أمسك دون انتظار المقياس المعدني الخاص بـ كيرك وضغط على الزر وانطلق في الضحك عندما شاهد الشمبر المدرج الخاص بالمقياس يندفع إلى الخارج من علبته حيث مر طرفه من تحت أنف كيرك الذي نهض فجأة وهو يقلب علبة المسامير انتشرت المسامير فوق الأرضية. أعلنت ليز:

- أسفة يا أولاد! حان وقت النوم.

احتجا قليلا ولكن اليوم الأول في الحضانة انهكهما تعباً ويكفيهما بضع دقائق في السرير حتى يغلقا عيونهما. أحست ليز بالحنان وهي تتذكر تعبير "جاسون" في الصباح عندما أدرك أنها ستتركه خلفها. كانت وكأنها ستتركه وحيدا في زورق فوق بحر متلاطم ولكنها عندما عادت مع كيرك اضطرت للإلحاح عليهما حتى تصحبهما. عادت إلى صالة اللعب وأعلنت وهي تشر عن أكمامها:

- والآن عرفني كيف يمكنني أن أساعدك؟

فكرت في نفسها أن هذا حل جيد. عندما يجدان ما يشغلهم هي وكيرك لن تخشى أن يحدث شيء. أزال كيرك آخر خيط ورفع عينيه نحوها:

- حسنا.. لقد ساعدتني بالفعل فاحيانا النيات الحسنة لا تؤدي عملا جيدا خاصة إذا كانت تلك الذوايا آتية من طفلين صغيرين.

- لمن تقول هذا! ماذا تظن السبب الذي جعل الأمهات يخترعن فترة الراحة بعد الظهر؟

- اعترف بأنه اختراع عبقرى.

وضع الموكيت على طول أحد الجدران في الصالة وطلب مساعدته:

- ابقى هنا لتثبيت الموكيت.. هل يمكنك ذلك؟ وذلك أثناء فردي للطرف الآخر.

أطاعته ولكن حتى يتم فرد الموكيت. استطاعت ليز أن تضغط على الطرف الذي من جهتها ولكن فجأة أفلت الطرف منها والتف حول نفسه إلى أن انضم إلى الطرف الآخر بعد أن صدم ركبتيها ثم أعلى ساقيها ووصل إلى كتفها في الوقت الذي ابتعد فيه كيرك إلى الطرف الآخر من الحجرة.

صاحت وهي مذعورة:

- آه! بم ينصح كتيبك في هذه المشكلة؟

استدار كيرك وراها - في حيص بيص - ولكنه لم يستطع أن يترك الطرف الذي يمسه به.

قال معترفا:

- حسنا.. إنه لم يذكر شيئا محددا. حاولي أن تضعي الموكيت في مكانه قدر الإمكان.

صارعت ليز وحاولت أن تبعد مسافتها وانحنى ونجحت في الإمساك بجزء من الموكيت ولكنه كان ثقيلًا جدا فافلت منها. استطاعت أخيرا أن تتحرر وذهبت تبحث عن مطرقة. عادت إلى الصالة وركعت على ركبتيها قدر استطاعتها فوق سجادة الموكيت وحاولت أن تبقيها على الأرض. انطلقت ضحكة مجنونة من كيرك مما جعلها تتوقف عن مهمتها. أخذت تنظر إليه من بين ساقيها وهي لازالت ممسكة بالمطرقة سالها:

- ماذا تفعلين.. هل تلعبين نطة الإنجليز؟

- إنني أثبت الموكيت.

استطاعت بصعوبة أن تصل إلى أحد أطراف الموكيت ووضعت عليه

المطرقة الثقيلة وهي لازالت تحبو على ركبتيها ثم مدت ذراعها فوق رأسها حتى أمسكت يداها بطرف الموكيت وهكذا أصبح الطرف كله في موضع ممتاز تحت جسدها الممدد فوقه. صاحت في انتصار:

- إيه.. حسنا ما رايك؟

- رايبى أن كاتب كتيب الإرشادات لم يشرح كل شيء وهذا لا يدهشني. إنها فكرة جيدة اختيار أحسن نوع وهذا الموكيت مريح حقا. والآن وصلت إلى التحكم فيه جيدا.

فكر "كيرك" إنها حقا محفوظة، لأنه وجد صعوبة في التحكم في الطرف الذي معه خاصة عندما رآها ممددة على طرف الموكيت بطولها. لم يكن أمامه إلا أن يفكر في شيء آخر. ولكنه قول من السهل أن ينطقه ومن الصعب أن ينفذه. أجبر نفسه على العودة إلى عمله.

وصاح:

- الرحمة يا إله السماوات!

عندما وصل إلى الطرف الآخر من الصالة، وجد أن عليه أن يواجه نفس مشكلة "ليز" كان الموكيت يلتف على نفسه عندما يكف عن الإمساك بطرفه. إذا حاول إحضار شيء ثقيل يثبت أحد الأركان فإنه سيضطر إلى ترك الموكيت. كان محاصرا ضد الجدار.. هذا ما صار إليه حاله بعد أن قرأ عدة مرات المقال حول وضع الموكيت وتثبيتته.

كانت المعركة التي اشتبك فيها والتي تركز في الجري ما بين ركن وآخر ويدها فوق الأرضية لم تحل مشكلته. جلس في المنتصف وهو ينظر إلى "ليز".

قال وهو يسند رأسه على كفه:

- في النهاية أنت على حق. لو ظللنا جالسين على سجادة الموكيت مدة أسبوعين فإن الموكيت سيتطبع على الأرضية دون أي مساعدة

وليس علينا سوى الانتظار.

تأرجحت "ليز" فوق الموكيت وتساءلت ماذا يمكن أن تظن بهما السيدة "هيلى" لو رأتها على هذا الوضع الغريب فوق السجادة؟ قالت مقترحة:

- اعتقد أن علينا أن نثبتته بالمسامير.

- من المستحيل أن يتحرك أي منا من مكانه، لأنه لو ابتعد أحدهما فإن السجادة ستلف حول نفسها.

- لا.. اعتقد أنه محكوم علينا أن نظل في مكاننا الوقت اللازم حتى تنفرد، والمضايقة الوحيدة في هذا الوضع هو أننا سنظل متباعدين مسافة طويلة إن أحد أركانك مثبت جيدا بالمطرقة فما رايك في أن تقتربي مني؟

في الحال استنتجت العواقب الوخيمة التي ستنتج من اقتراحه قال لها بابتسامة مشجعة:

- هيا.. تعالى!

- أه.. ولكننا اتفقنا على أن نظل مجرد صديقين.

- ثم؟ وهل ما اقترحتك عليك لا يعد صداقة؟

- لا، لأنني أخشى أن نصبح صديقين أكثر من اللازم وأحس أكثر أمانا في مكاني بعيدة عنك.

- وهذا الأمان.. هل هو ضروري؟

- نعم.

- وماذا لو أثبت لك العكس؟

ضحكت وهي صديقة من وضعها وكل منهما على بعد أمتار من الآخر.

- كما تقولين إننا عندما نبقي ثابتين فإنه محكوم علينا أن نظل في مكاننا.

- لا تكوني واثقة لهذه الدرجة

مط جسده ثم تدحرج مرة ومرتين وثلاث مرات واختفى داخل الموكيت المنطوي معه. لم تستطع "ليز" أن تكف عن الضحك وعندما وصل إلى نصف المسافة استطاع أن يخرج رأسه ويصيح:
- النجدة! النجدة! إن هذه السجادة اللعينة ستلتهمني نصحته من بين ضحكاتها:

- لا تتحرك ساذهب لإحضار أشياء ثقيلة وأعود. ما إن نهضت حتى أخذت السجادة تتبعتها وتلتف حول السجين المسكين الذي أصبح بلا حركة تماما. استغرق الأمر دقيقة من "ليز" حتى تحضر معلبات طعام. كان المنظر في الصالة قد تغير. حرر "كيرك" نفسه وجلس وسط الصالة وقد فرد ذراعيه كي يبعد طرفي السجادة عنه. قالت:

- رائع. في الوقت الذي ذهبت كي أحضر أثقالا أخرى تعود إلى جدارك وأنا سائبت الموكيت بالمسامير بدلا من أن يطيعها أمسك بكاحلها وقال:

- هل نسيت مناورتي... ستستقرين بالقرب مني وقفت ثابتة ارتفعت يده التي تمسك بكعبها ونظراته لا تفارق عينيه وهو يستنتج رد فعلها.
- عليك أن تجلسي بجواري وعلينا أن ندفن أنفسنا داخل السجادة ولن يعرف أحد أننا هناك وأراهن أننا لن نشعر بالحرج داخل السجادة. قالت في مرج:

- لقد كسبت أنت!

جلس وهو يحاول أن يجذبها نحوه عندما أمسك بيدها أرادت "ليز" أن تحرر نفسها ولكنها تعثرت ووقعت فوقه وأخذا يتصارعان كالأطفال تركزت نظراته على نظراتها وتشابكت.
قال لها:

- لقد جذبتني من اللحظات الأولى التي رأيتك فيها وأنت واقفة أمام بيتك وقد تبعثر شعرك بفعل الريح والجيب تلتف حول ساقيك وحذاؤك الغريب ذو الكعب العالي الذي جعل ساقيك تساويان مليون دولار.. ثم أتيت إلى هنا فزاد الأمر سوءا.. لقد كان عندك حق أن طالبت بالصدقة وأنا أحب هذا النوع من الصداقة الحميمة.
- وأنا كذلك.

فجأة تحول الهزل إلى جد وتسارعت ضربات قلب "ليز" ولم يعد باستطاعتها أن تخفي حبها العميق له. لقد أصبحا في عالم ليس به سواهما وقد تركزت عينا كل منهما على الآخر.
قالت له لاهثة:

- بماذا ينصح كتيب إرشاداتك في هذا الوضع؟

- حسنا.. ليست هناك تعليمات محددة.. لقد فقدت سيطرتي على العملية كلها.

- إذن علينا أن نفلل صديقين وكف عن هذه اللعبة الخطرة فإنني لم أتمرن عليها من وقت طويل ولم أعد أعرف قواعد اللعبة.

- إن القواعد لم تتغير منذ الخليقة يا "ليز" وأنت تعرفينها جيدا مثلي تماما. إن ما يحسه كل منا نحو الآخر ليس مجرد انجذاب عادي يمكن السيطرة عليه وإنما هو رغبة غامرة في امتلاكك كلية يا "ليز". صدمها اعترافه بالحب المفاجئ وتصلبت:

- ١٧ -

- لا.. ماذا.. إنني لم أطلب شيئا بعد

حاولت "ليز" أن تستجمع أفكارها إنها تريد أن تسلك مسلكا معقولا لا يؤدي إلى تعثرها في طريق حياتها ولا يحدد مستقبلها. مسلك تستطيع أن تتمسك به.

قال لها بالحاح ما الذي يمنعنا من أن نظل صديقين حميمين؟

- لا تحاول إغرائني يا كيرك لأنك تضيع وقتك سدى.

- اعرف ذلك ولا اتعشم شيئاً علي الإطلاق ولكن الأمر حدث واصبت بحبك ولا فائدة من إنكاره. تساءلت ماذا يريد بالضبط؟ وفضلت ألا تسأله. ولكن كيف تنكر أن اضطرابها مما تشعر به نحوه قد تزايد باستمرار. إن ما تشعر به نحوه لم يستطع أي رجل من قبل حتى زوجها أن يثيره داخلها. هل يلمح إلى أنها تريده كما يريدونها؟ من الأفضل ألا تتعمق في البحث.

قالت له:

- بصراحة. الأصدقاء لا يتصرفون هذه التصرفات.

- صديقيني يا "ليز" إننا نعقد الأمور ولكننا لا نملك التصرف في مشاعرنا. في كل مرة أراك فيها تطير كل القرارات العاقلة التي اتخذها ويعود كل شيء إلى سيرته الأولى. إن هذا لن يختفي بسهولة ما لم نحل المشكلة بهدوء.

أخذت تدفعه بكلتا يديها في يأس وهي تصيح:

- إننا مضطران لأن نتقاسم هذا البيت وهذا يعني أن يحترم كل منا الآخر في كل شيء.

- يا إلهي! أعتقد أننا حللنا هذه المشكلة. لقد أعلنت ببساطة أنني أريدك أنت كلية. لقد عرفت ذلك من البداية.. من اللحظة التي دخلت فيها مكتب كاتب العدل وعرفت ماذا سافعل وماذا ستفعلين وسينتهي بنا الأمر أن نعيش معا كروح واحدة. لم أكن أعرف أن "أميروز" قد تأمر ليجمعنا معا وعرفت أنك مادمت تعيشين في المدينة وأنا في الريف في مزرعة فإن مؤامرتي لن يكتب لها النجاح. ولكنني أحسست أنه ما إن تأتي إلى هنا يا "ليز" فإننا سنشترك في نفس العواطف.

تذكرت كلماته أمام غروب الشمس من أنه لم تعد في حياته نساء

أخريات؟ ولكن هل تستطيع أن تتخلص من الشك الذي يطاردها؟

- وماذا لو اكتفينا بالصدقة البسيطة؟

- نعم نستطيع ذلك بشرط أن أنال بعض التعويض.

- ولكنك تفعلين أي شيء مع أي رجل قادم. ألا تخجلين أيتها الشابة وأنت أرملة ولديك طفلان تتصرفين هذه التصرفات غير المسؤولة. اليس لديك أي احترام لذكرى زوجك؟ وللطفلين المسكينين.

بدا الغضب الشديد على "ليز".

- اسمعي أيتها الحيزيون.. لا دخل لولدي في هذا.

لم يكن من السهل خداع السيدة "هيللي" وقالت في غضب شديد:

- انتبها أفتما الاثنان... إنني أنذركما بأنني لن أتسامح مع مثل هذا المسلك هنا. لقد أراد "أميروز" أن أعيش هنا لسبب واحد وهو أن أكون وصيفة وطالما عشت بين هذه الجدران لن يحدث أي مسلك غير أخلاقي بينكما ولا مع أحد آخر.

اقتربت خطوة ووجهت طرف عكازها نحو المذنبين.

- إذا لم تنصرفا بكرامة فإنني..

قال "كيرك" بعنف وهو يقاطعها:

- قوليهما إذن! من الذي يتحدث عن السلوك غير الأخلاقي؟ أنت؟ بعد الطريقة التي عشت بها مع "أميروز" وتتجرائين بطلب حسن الأخلاق من الآخرين؟ اسمعي أيتها الساحرة الشيطانية.

- عفوا.. عندما كنت أعيش هنا لم يكن هناك أطفال.

- حسنا.. إن طفلي "ليز" لا يهتمان بمسلكتنا.. إنهما في المرحلة الأولى وينامان نوما عميقا. كله سعادة ثم عليك أن تهتمي بشؤونك الخاصة. وعندما رايتنا مشغولين كان من الواجب عليك أن يكون لديك ذوق وتخفي في أسرع وقت. نحن لسنا في حاجة إلى وصيفة ولن نسمح بأي ملحوظة منك.

خفضت السيدة "هيللي" من نغمة صوتها قليلا:

- يمكن أن يصل الطفلان هنا دون أن تلحظا وصولهما هل سمعتاني

الفصل السابع

ظل "كيرك" و"ليز" لا يعرفان من أين تأتي ضجة الحشيرة التي سمعاها من مكان قريب وعندما تكررت توقفا في الحال عن الحديث وضمنت "ليز" في الحال زفرت في أسف وهي تبتعد عن "كيرك" وحاولت الجلوس. أخذت في رعب تنظر إلى السيدة "هيللي" التي كانت واقفة في مدخل الباب وقد وضعت إحدى يديها الكبيرتين في وسطها والأخرى أمسكت بها عكازها.

قالت في تهكم:

- إن العمل شاق كما أرى!

بينما نهض "كيرك" بحثت "ليز" عن عذر.

- إن الموكيت لا يريد أن ينفرد.

ثم قدمت على محاولتها، لأنها على أية حال لن تغلح في شيء تنسمت المرأة الهواء ثم تهكمت ثانية:

وأنا قادمة؟

قالت "ليز":

- إن طفلي يحدثان ضجة كبيرة أكثر منك عندما تكفين عن طرق عكازك بالأرض ثم إنهما لا يتلصصان.

- على الأمهات أن يعتنن كثيرا بمسلكنهن خاصة اللاتي يخشين أن ينتزع منهن أطفالهن ويسلموا لجودهم بحكم المحكمة.

بعد هذا السهم المسموم ذهبت السيدة "هيللي" وهي تطرق الأرض بعكازها. قال "كيرك":

- يا له من مشهد هزلي!

أدارت له "ليز" ظهرها وأخذت كتفاها تهتران من الرجة ولأنها كتمت نشيجها في حلقها.

- لا تبكي يا عزيزتي "ليز" كل هذا كان غلطتي ولكني لن أترك هذه الحيزبون تنكد عليك وعلى الطفلين ثقي بي. ومن فضلك انظري إلي. أمسك بوجهها وأجبرها على أن تستدير نحوه فتحت عينيها ولكنها لم تستطع أن تتحكم في الحركات التي تملكت جسدها.

- أوه يا "كيرك" يا لتلك النظرة التي في عينيها! لم يسبق لي أن رايت مثلاً.

صاح:

- أنت تمزحين... ولكن ليس هذا بالأمر الغريب.

- أوه بلى لا تعامل هذه الحادثة على أنها مأساة يا "كيرك". لا يمكن أن يحدث لك شيء وهذه ليست غلطتك. فلا تقلقي.

- كيف هذا؟ بل يجب أن أقلق دون شك ولكن تلك المرأة اللعينة تتدخل كي تزعجني.

قال:

- حسناً. لا تهتمي ولنعد إلى عملنا.

رغم ما بذلته من جهد فإن "ليز" لم تكف عن الضحك:

- "كيرك" لا اعتقد أن كتيب الإرشادات واجه مثل هذه المتاعب في تثبيت الموكيت.

بعد عدة محاولات غير مثمرة انتهى الأمر بأن انفرد الموكيت فوق كل أرضية صالة اللعب بطريقة مرضية. سعد "كيرك" وأغلق المقياس المعدني. وقال معترفاً:

- كان من الواجب علي أن ألغى حول عنق تلك الحيزبون.

عندما نظر إليها وهي تحبو على الموكيت قال:

- إنك توقظين في عواطفني البدائية يا "ليز تريماين".

سادت القمامة وجه "ليز". لقد كان "كيرك" على حق في قوله أن المشهد الذي حدث مع السيدة العجوز ليس هزلياً، لابد أن نوبة الضحك المجنونة التي انتابتها وقتئذ هي دون شك نوبة هستيرية. لقد كانت السيدة "هيللي" على حق. إنها حقاً عقرب سام يجب عدم الثقة بها ولابد أن "كيرك" يعرفها جيداً وهو الذي كان ابناً غير شرعي لامرأة عانت طوال حياتها من غلطتها. لقد وجدت عذراً مقبولاً لتغيير الموضوع.

- إيه.. لابد أن أمك واجهت حياة صعبة؟

- نعم.. امرأة ومعها ابن غير شرعي لا يمكن أن نلقي لها احتراماً في أيامنا. كل الناس ظنوا أنها ابنة حرام لذلك لم يتزوجها "أميروز" ولكن العكس هو الصحيح.

- ماذا؟

- إنها لم ترغب في الزواج منه حتى عندما علمت أنها حامل. في الحقيقة لم تخبره بذلك أبداً لأنها لم تكن تطيق أن تقضي حياتها مع "أميروز".

قالت "ليز" في حزن:

- إيه حسنا! لأبد أنه كان قرارا صعبا اتخاذه.

- أوه... ولكن أُمي ليست أي شخص وأنا أحترمها تماما وأعوّضها عن الاحترام الذي لم يقدمه الآخرون بما فيهم "أميروز". لقد كانت أُمي امرأة عنيدة وأستطيع أن أقول إن يدها من حديد في قفاز من قטיפعة.. مثل شخص آخر أعرفه.

تظاهرت "ليز" بأنها لم تفهم التلميح رغم نظرة الشرح التي صحبت كلامه. وضعا اثاث الصالة في اثناء حديثهما وسألته:

- ولكن ماذا كانت تعيب عليه؟

- أوه لقد كانت تحبه ولكنها لم تقبل أن يسحبها من نفسها. لقد كان شديد السطوة ويريد أن يتخذ كل القرارات بمفرده. كانت تعلم أنه من الأفضل أن يعيش الطفل في بيت مترابط ولكن.. ولكنها وجدت نفسها في نفس الوضع الذي كنت أنت فيه مع حمويك.

ردت "ليز" في قلق:

- هذه المقارنة ليست مضبوطة.

كان "كيرك" الذي تعجبها كتفاء العريضتان وهو يحمل الكومودينو مخدوعا في هذا الموضوع، إنها لم تكن امرأة قوية. لقد كانت دائما خائفة من المستقبل ومن ألا تستطيع أن تربي طفلها بطريقة لائقة وتخاف أن يتدخل غريب في حياتها.

قال بإلحاح:

- بل هذه المقارنة صحيحة. لم يرغب "أميروز" أن يواجه زواجا في الكنيسة بينما هي كانت متمسكة بذلك. لقد كانت فكرة "أميروز" عن الكنيسة سيئة وأيضا عن القسس ولسوء الحظ أن القس "ديزي" المحترم لم يظهر مبكرا.

- إذن لم تعرف والدك الحقيقي في طفولتك وإنما عرفت فقط "مارتن البريت".

- لا.. ولم تتح لي الفرصة أن أعرفك أيضا.

لقد تركت يا "ليز" بيتا مريحا عند حميك، لأنك لم تفكري إلا في مصلحة ولدك. لقد أردت أن تنالي استقلالك واندفعت في ممارسة فن التصوير الضوئي. أنت قوية ولا تسمح لي لأحد أن يتخذ لك قراراتك. نعم أنت مثل أُمي امرأة من حديد في غلاف من القטיפعة.

قالت له وهي تضحك:

- إذن لماذا تحاول أن تتخذ لي قرارا في هذه اللحظة؟

- انتبهي أنت الآن أكثر رغبة فيما أقترح.

- إنني لا أتفق معك. إن إقامة علاقة معك غلطة كبرى، لأن لي ولدين يهتمني سعادتهما قبل كل شيء ولا أريد من "أو لجاهاييني" أن تتدخل في هذه السعادة. إنها من الممكن أن تحملني الخطأ وأنا أفكر في ذلك منذ الصباح حتى المساء.

- ليس هناك خطأ في علاقة حب بين رجل وامرأة يتمتعان بالحرية هما الاثنان. ولست أدري كيف يمكن أن تصبح هذه العلاقة مهمة، لأنها في البداية ويجب علينا أن نعرف كل منا الآخر جيدا.

- لا يا "كيرك" إنني لن أخاطر بسعادة ولدي من أجل سعادتي.

- قد تستطيعين الإفلات مني الآن ولكنك لن تستطيعي ذلك للأبد.

إنني أقرأ ذلك في عينيك.

- لا تدع خيالك يشطح. إن عيني لا تعدانك بشيء لسبب بسيط

ومعقول وهو أنني أريد أكثر مما يستطيع رجل أن يقدمه لي.

جاء دور "كيرك" كي يظهر بعض التحفظ. إن تعليق "ليز" الأخير جعله يحس بالخوف. لقد توقع هذا النوع من الاقتراحات التي تحب

النساء دائما أن تسمعها. ولكن.. الرحمة يا إله السموات! إنه يحب حياته الحالية وليست لديه أية رغبة في أن يغيرها حتى من أجل امرأة مثلها.

- هيا يا "ليز" أفيقي.. اليس ما تطلبينه مني كثيرا؟ كثيرا جدا؟

- بالتأكيد لا.. أنا لا أطلب شيئا سوى أن تحترم واجباتي كام. وإذا كان هناك من يطلب الكثير فهو أنت. ظل فاعرا فمه ولكنه فهم أنها على حق. عندما سمع الولدين اللذين استيقظا فوق رأسه، عرف أنه ليس أمامه سوى دقائق اقترب منها فتراجعت إلى أن حاصرها ضد الجدار. قال لها:

- إنني لن أطلب منك شيئا لا تريدينه. لقد أظهرت لك عواطفني واستجبت لها فلماذا المقاومة؟

كان قادرا على أن يكون مقنعا ولكنها أرادت أن تكون هي الأقوى. الم يقل بنفسه إنها الأقوى؟ هزت رأسها بقوة وتخلصت من حصاره ثم صعدت إلى حجرتها. ما إن أغلقت الباب خلفها حتى تملكها الرعدة لو تأخرت دقائق لحدث ما كانت تخشاه ولكن حمدا لله أنها أفلتت سالمة.

قالت بصوت عال وسط الحجرة الخالية:

- لا.. لن أكون جزءا من مجموعته النسائية ساعتني بواجباته أما بالنسبة لغير ذلك فعليه البحث عنه بعيدا عني.

بدت صالة اللعب وبها مائدة كومودينو ضخمة وأرائك ومقاعد وأرفف رصت عليها الكتب ومائدتان صغيرتان والنار في المدفأة - بدت مريحة ومرحة.

صاح "كيرك" وهو يمد رأسه من فتحة الباب:
- أوه.. إنها رائعة.

كانت "ليز" قد انتهت لتوها من وضع الستائر راته في منتهى الاناقة وهو مرتدي سويتير لونه كريم وينظون أسود. وحمل سترة على كتفه ولأول مرة منذ عرفته استبدل بحذائه ذا الرقبة الطويلة حذاء من الجلد أنيق. كان حقا فاعرا ومليحا جدا! لابد أن المرأة التي سيقابلها أنيقة هي الأخرى مثله وعبر خيالها صورة "جينا" بحذائها العالي. سببت نظرة "كيرك" الملحة نوعا من القلق والضيق وجعلتها تندم رغما عنها، لأنه منذ مشهد الموكيت احترمت رغبتها في أن تعيش بلا رجل. ولحسن الحظ كان الولدان في الصالة مشغولين بتلوين كراسيات الرسم مما أبعد عنها شبح الضعف والاستسلام. قال فجأة:

- هيا يا "ليز" اخرجي معي.

كان هو أول من بهش من هذا الاقتراح المباغت دفع ضلعة الباب بعد اقتراحه هذا ثم اقترب منها وفكر أن تذهب إلى الجحيم حاجته إلى احترام كلمته وقراره أن يحترم رغبتها. من حق الرجل أن يحاول! قال شارحا:

- سأقابل أصدقاء في المدينة ولكنني أحب لو ذهبت إلى مكان آخر معك.. مثلا إلى السينما أو المسرح أو ملهى.. ما رأيك؟

تخيلت نفسها جالسة بجواره في السينما أو المسرح وقد تشابكت أيديهما وربما وضع ذراعه على كتفها أو تراقصه! قالت:

- أسفة لدي خطط أخرى.

امتعض "كيرك" تذكر أنه لم يحدث أن تهربت امرأة من دعوته

لمصاحبتها وبادعاء كاذب .

سألها بجفاء:

- أية خطط؟ هل ستغسلين شعرك؟

- لا.. لقد فعلت ذلك.. لقد عدت من المكتبة العامة ولدي نية القراءة.

- طوال السهرة؟ يا لها من فكرة!

صاحت في مرج:

- في أي شيء فكرت يا "كيرك"؟ إنني أقضي كل أمسياتي في حجرتي للقراءة. ماذا يمكنني أن أفعل غير ذلك؟ لا اعتقد أن في إمكانك تحمل أجر جليسة أطفال تحرس ولدي.

- ولكن.. السيدة "هيلي"؟ - لا.. هذا مستحيل.. حسنا القى بسترته فوق مقعد ذي مساند وجلس على الأريكة وخلع حذاءه ثم وضع إحدى ساقيه فوق المائدة وأخذ كتابا من صف الكتب التي أحضرتها "ليز" في الصباح ثم أعلن:

- سنبقى في البيت لنقرأ معا.

تسأل أمام بريق عينيها السوداوين عما إذا كان عليه أن يحترم إرادتها، ولكن مادامت قررت شيئا فله الحق في أن يقرر هو شيئا آخر. قالت "ليز" في ببطء:

- لا يجب أن تجلس هنا بالقرب مني.

أمسك برسغها وأجبرها على الجلوس بجواره:

- أعرف ذلك ولكن هذه رغبتني.

فتح الكتاب كان عبارة عن رواية بوليسية وبدأ يقلب صفحاتها وكانت لديه الرغبة أن يقرأها كلها. حررت يدها ولكنها لم تتحرك من مكانها وأخذت تراقب ولديها وهما منكبان على التلوين استمعت إلى النيران وهي تزار في المدفأة وصوت تليفزيون السيدة "هيلي" غير

الواضح عن بعد في الغرفة المجاورة وأحيانا ما كانت تلقي نظرة على جانب وجهه فكرت إنه رائع. لو ظل هادئا يقرأ أو يشاهد التليفزيون فإنها لن تستطيع أن تمنعه ولكن في اللحظة التي حاول التقرب منها. فرت هاربة ظلت "ليز" في سريرها إلى وقت متأخر من تلك الليلة فاتحة عينيها وسط الظلام. لم يقرأ "كيرك" طوال الأمسية ولم يشاهد حتى التليفزيون وفي أثناء وضعها لطفليها في الفراش أعد شوكلاتة ساخنة وفشارا وخلال الساعتين التاليتين لعبا الورق. لقد تحدثا طويلا وضحكا كثيرا وتمازحا ولكن هذا كل ما حدث. لم يخاطر أبدا بالإعراب عن رغباته بل لم ينظر إليها بإلحاح كما كان متعودا ولم يبتسم تلك الابتسامة المغوية التي تجعلها شبه مجنونة. إذن لماذا لا تنام؟

استيقظت متأخرة في الصباح حتى إن "كيرك" اصطحب الولدين إلى درس الغروسية مع "كريستي" كما سبق الاتفاق على ذلك. كان قد ترك مذكرة لـ "ليز" حتى تنضم إليهم. خرجت إذن بحثا عن ولديها ذهلت عندما وجدت نفسها تمتطي جوادا عمره ستة أعوام وتتفاهم معه بمعجزة. لقد كانت عطلة الأسبوع مشغولة تماما في ركوب الخيل يوم السبت والكنيسة يوم الأحد والعشاء في مطعم "لافونتين" بعد ذلك.

يوم الاثنين صحبت "ليز" الولدين للمدرسة وسمحت لهما أن يقضيا النهار كله فيها ولن تحضر لأحدهما إلا في نهاية اليوم. وفي الأيام التالية تعودت على إعطائهما غداءهما في علب في الصباح ثم تعود لأحدهما في المساء وقد فرح الطفلان بهذا القرار.

قال "ريان" مقترحا يوما ما:

- يمكننا أن نعود للبيت باتوبيس المدرسة.

- ليست هذه السنة يا عزيزي. وإذا كنت تقضي كل اليوم هنا فإن السبب هو أنني مشغولة بإعداد زينة عيد الكريسماس ولا أكف عن

إعداد كل الرسوم ولم يبق إلا تلوينها.

علق كيرك وهو يدخل المطبخ:

- إنها فكرة جيدة يا ليز.

وضعت يديها في جيبي الجينز الخلفيين:

- وأنا كذلك اعتبرها فكرة جيدة ثم قال: لي أن أتساءل.. من هو

الشخص الذي ادعى أنني لا أستطيع أن أمسك بالفرشاة؟

- أوه! أنا أيضا أتساءل من تجرا؟

وبدت عليه البراءة المزيفة ولم تستطع إلا أن تضحك.

- على أية حال إنني أتساءل إن كنت قد بحت بكلمة عابرة حول هذا

الموضوع إلى "باتي". لقد أخبرتها أنك اجتزت بكالوريوس الفنون

الجميلة ولكني لم أشاهدك أبدا ترسمين.

- في الحقيقة لا.. ولحسن الحظ لأنني إن كنت رسامة حديثة فإن

أطفالي الأعمام المساكين كانوا سيتحملون رؤية صورة بابا نويل بعين

واحدة وقدماء تخرجان من أنفيه. هكذا يرسمونه الآن حسب المذهب

الحديث.

وضع سترته على مسند المقعد وألقى بقبعته طائرة لتستقر فوق

الثلاجة.

- إنني لا أعرف شطحات الرسامين المحدثين ولكن هيا انهمكي لأنني

أريد أن أرى نتيجة مجهودك.

ضاعت عيناها من الضحك ولم تغادرها عيناها، مر قلب ليز بلحظات

مؤلمة عندما اضطرت للاعتراف بأنها تحترق شوقا بأن تلقي بنفسها

بين ذراعيه يكفي أن تنظر إليه وتعامله حتى تصاب بالجنون أو أن

تتلاعب تلك الابتسامة القاتلة على شفتيه.

أعاد صوت طرقات عكاز السيدة "هيللي" ليز إلى صوابها همس

- ١١٠ -

كيرك بصوت رقيق:

- ليز..

اكتشفت أن يده ترتجف وهي تمسك بيدها كانت الرغبة تلمع في

عينيه وتسارعت أنفاسه نسيت للحظات تهديدات السيدة "هيللي" وكذلك

كلام كيرك إلا تطلبين الكثير من نفسك والكثير جدا لم تعد تتذكر سوى

السحر الذي يسبحان فيه. رفقت خطوات "جاسون" خلف الباب مما أتاح

لهما ثوان فقط للابتعاد عن بعضهما وبذل الولد الصغير وقد وضع

ذراعا واحدة في معطفه وجاء يطلب المعونة لارتداء المعطف. طارت

لحظات السعادة من ليز.

قال كيرك عندما انتهى من قهوته:

- أنا الذي ساقود السيارة.

أخذ معطفه وقبعة رعاة البقر وتبع ليز إلى الخارج.

قال شارحا:

- لابد أن أمر على مصنع الاثاث.

أعطته مفتاح السيارة "البليزر" الصحراوية.

- حسنا قد أنت السيارة وعليك الاتصال بالعميل رقم سبعة صفريين

في حالة هطول الثلج.

انطلقت السيارة وسالت ليز السائق لماذا عليه أن يشتري من

مصنعه؟

قال شارحا:

- لقد سألت نفسي مادامت ليز تريد أن تدهن نوافذ الصالة فعلى

الأقل يجب أن اصنع ديكورات حفل الكريسماس للأطفال.

- وبالتأكيد ستطلب مني أن أظلي هذا الديكور. اليس كذلك؟

- حسنا... تتعشم "باتي" أنك مادامت ستطلبين النوافذ فبالأكيد لن

- ١١١ -

تتوقفي عن دهان الديكور

أدار وجهه نحوها وابتسم ثم وضع سبابته على خدها :

- سأساعدك بقدر استطاعتي يا "ليز" وسأجهز لك ورشة في الحظيرة مزودة بالمصابيح ومائدة تضعين عليها أدواتك وهذا سيكون مشروعاً مشتركاً بيني وبينك..

نظر مرة أخرى إلى الطريق ولما لم تقل شيئاً أكمل:

- إنه من أجل الطفلين بالتأكيد أقوم بكل هذا.

بعد لحظات طويلة من التفكير استسلمت:

- إذا كان الأمر من أجل الطفلين فليست هناك مشكلة.

امسك بيدها بحركة سريعة وقال:

- شكراً يا "ليز" ولكن هل يضايقك أن أعمل معك؟

- لا.. لا على الإطلاق.

قال بارتياح ورضاً:

- حسناً.. على أية حال فإن العمل المشترك أمر طبيعي ما بين

الشركاء.

وافقته بصوت حاولت أن تجعله مرحاً قدر الإمكان :

- تماماً.. بين الشركاء الذين هم في نفس الوقت أصدقاء وليسوا

سوى أصدقاء.

الفصل الثامن

قالت "ليز" مقترحة:

- ماذا لو رسمت منظر العمران من ناحية وزلاجة بابا نويل من الناحية الأخرى فإن هذا سيسمح بتغيير الديكور تماماً.. ما رأيك؟
كانا في الحظيرة حيث أخذ يقرأ برنامج الاحتفال الذي ستقدمه المدرسة.

قال بصوت ممطوط:

- افعل ما يحلو لك يا أيتها الأم الفنانة. إن شريكك سيلتزم بتعليماتك. إنه مجرد ميكانيكي.
- أوه لم أفكر في أن أعطيك أوامر وإنما ظننت فقط.
- ليس عليك أن تفكري يا "ليز" خاصة إذا بدأت تفكرين في أنك لست في حاجة إلي أنت هنا لتبدعي.
صاحت وهي تضحك:

- أوه! من السهل أن انطلق في الإبداع عن طريق وضع اللون
بالفرشاة كيفما اتفق.

ناولها "كيرك" فرشاة مغموسة في اللون الأبيض الموجود في دلو.
كانا يعدان ديكورات أعياد الكريسماس وكل منهما يطلي لوحا من
الخشب المضغوط أحضره من المدينة. لم يستطع "كيرك" أن يمنع نفسه
من المزاح خاصة وهو يناول شريكته الفرشاة. كان يمسك بها عاليا جدا
حتى لا تستطيع "ليز" أن تمسك بها إلا بعد أن تقبض عليه. صاحت:
- ليس لطيفا منك أن تستغل قصر قامتي لتمنعني من العمل. إذا
استمررت على هذا سارحل.

- ولكن كل أعمالك وأنت ترسمين أو تحتسين القهوة أو تاكلين الفشار
بطريقة تدفعني للجنون أنت تفعلين كل ما يدفعني للجنون يا "ليز"
تريماين! وتقولين عكس ذلك.

دار حول لوح الخشب المقوى كي يغمس الفرشاة في الدلو وقد
تراقصت السعادة والمرح في عينيه:

- إذا كان كل هذا يضايقك فلماذا تصر على الحضور لمقابلتي في
المطبخ أو في الصالون لتلعب الورق أو لتشاهد التلفزيون كل مساء؟
- وأنا لم ادع أن هذا لا يسعدني سعادة رهيبة.

ابتسمت ابتسامة بطيئة واجابت بإخلاص:

- وأنا كذلك.

- حسنا.

مسح أنفها بطرف قميصه ثم عاد إلى لوح الخشب وبعد نصف ساعة
من العمل الجاد قالت له "ليز":

- رائع! هذا المساء سأقوم بطلاء وجه آخر وعندما اصحب الطفلين
إلى "كريستي" صباح غد سيكون الطلاء جف وبعدها أهاجم على العمل

الإبداعي الحقيقي.

قال لها:

- إن لك موهبة مجنونة.

أخذ يفحص الاسكتشات المنثورة فوق المائدة.

قالت له:

- شكرا.

مالت كي تمسك بإحدى القطيطات التي غامرت بالخروج من
صندوقها. ومنذ أن تعثرت السيدة "هيللي" في إحدى القطيطات تم نقل
الصندوق بمحتوياته إلى الورشة الفنية في الحظيرة. وأكد "كيرك"
للولدين أن القطيطات ستكون في أمان هكذا. بعد دقيقة عادت بدون
القطعة ولكن بواحد من تماثيل "كيرك" الخشبية. صاحت:

- أن لك حقا موهبة عظيمة... إن هذا التمثال ساحر.

كان التمثال يوضح مدى عذاب صاحبه وكأنه يعبر عن ألم عميق
داخل "كيرك" وحزن لا يستطيع أن يستخرجه إلا بسكين النحات. لم
يرفع عينيه عن رسومات "ليز" وسالها:

- وماذا لدي من صفات أخرى؟

- لماذا تخفي تماثيلك يا "كيرك"؟

رفع رأسه وعندما رأى ما كانت تمسكه في يدها. اقترب منها بحدة ثم
وقف في الحال. لم ينطق كلمة وإنما أخذ يتطلع إليها في غموض
وأدركت أن تماثيله عزيزة جدا على قلبه وخشي أن تتهكم عليه.

- إن تماثيلك رائعة، فلماذا تخفيها هنا بدلا من أن تعرضها في
البيت؟

تبعها إلى الورشة. رأت عددا من إبداعاته الغريبة والعاطفية
مرصوفة على الرفوف سالها:

- هل تحبينها إلى هذا الحد؟

- نعم يا "كيرك" إنني اعتبرها جديرة بالإعجاب.

تحنح ليسلك حلقه ومرر يده في حنان على أحد الأشكال الغريبة التي أبدعها همس:

- لقد كان "أميروز" يكرهها ويعتبرها تشبه الشياطين.

أخذت تفحص المزيد منها بإمعان تحت الضوء:

- إنها فعلا غامضة وكأنها تنتمي إلى عالم آخر وهذه على سبيل المثال يبدو عليها المكر ومن يراها يظن أنها ستنفجر ضاحكة أو ستتهكم على شخص ما.. إنني أعشقها.

قرأت على سحنة "كيرك" نوعا من الفهم وكأنه لم يكن واثقا أو كأنه يخشى أن تحطم عمله.

سأله:

- هل يمكن أن تبيعها لي؟

- أنت تتكلمين مجرد هراء وكلام بلا معنى.. إذا أردتها خذها.

هزت رأسها نفيا:

- أوه لا.. إنها شيء.. لا يوجد قبل أن تبكره إنني أرى الكثير من العمل والوقت والتفكير.. وكثيرا منك يا "كيرك" وهذا ما يعطيها قيمة خاصة.

بدأت تضحك وهي تسخر منه وليس من نفسها.

- قد تكون ذات قيمة خاصة بالنسبة لي وليس للآخرين.

- مادامت ذات قيمة عندك فهي بالتالي لها قيمة عند الآخرين.. في مجتمعنا لا يوجد شيء بلا مقابل وسأشترىها منك إلا إذا كنت تود أن تحتفظ بها لقيمتها الخاصة عندك.

- يمكن الدفع بطريقة أخرى غير المال.

خمنت في عينيه ماذا كان يقصد ولكنها سأله:

- ماذا تقدره ثمنا بدلا من النقود؟

وضع أصبعه على الجرح في خدها وبدأت في الحال ترتجف. أه لو عرف فقط إلى أي حد تريده فإنه لن يتردد لحظة.

قال لها:

- قبلة.. بالضبط قبلة.

ابتسمت رغما عنها:

- إن ثمانيك تساوي أكثر من ذلك.

- إن إحدى قبلاك بالنسبة لي لا تقدر بثمن يا "ليز".

كانت تتوقع الخطر في عينيه وفمه وذراعيه كان خطرا مغريا. فاستسلمت له.

ضحكا دون مواربة وأخذا يتبادلان النظرات المفعمة بالعاطفة والرغبة وأخذت تردد اسمه في حب.

قال لها:

- ماذا أفعل بك.. إنك تسوقينني للجنون؟

في الحال تخشب جسدها وعادت إليها كل الدماء الباردة التي سبق وطارت أمام نظراته الوالهة أفاقا لنفسها في عنف والم. لقد جرحتها عباره.

تخلصت منه بعنف ونهضت وهي تقول له:

- دعني أذهب!

- لا يا "ليز" لا تزيديني جنونا.. لا ترحلي!

حاول أن يمنعها ولكنه لم يفلح. كان بداخل عقل "ليز" آلاف الأسئلة تتصارع دون إجابة أو بالأحرى شكوك أكثر منها أسئلة. هل تحبه؟ لا دون شك. إنها لم تعد تحبه.. إن أي علاقة قائمة على الانجذاب الشكلي

فقط يمكن أن تجلب عليهما المشاكل وتائب الضمير قال:

- يا عزيزتي "ليز" أعرف ما تفكرين فيه ولكن اسمعي لا يوجد أحد من حقه أن يلومك على أي شيء من فضلك يا "ليز"...

أعلنت في برود وهي تعتدل:

- نعم.. أعلم.. إنك تريد أن تقطف زهرة من كل بستان.

صاح في ضيق:

- ماذا؟ يا لها من طريقة كريهة في عرض الأمور ليس هذا على الإطلاق ما أريده. لست أعرف بالضبط ما أريده ولكن..

- حقا؟ ولكنني أعرف ما أريده وهو أن اذهب لأحضر طفلي.

عندما عادت إلى المزرعة كان "كيرك" قد رحل ولم يعد قبل أن تذهب هي للنوم.

تساءلت هل سيعود الليلة؟

وعندما هبطت إلى المطبخ بعد نوم متقطع ومقلق في صباح اليوم التالي وكان يوم سبت كان موجودا هناك. كان قد أعد الإفطار للطفلين

الذين كانا متحمسين جدا نحو درسهما القادم في الفروسية.

أعلن "كيرك":

- أريد أن اصحبهما، لأنني أعرف أن عليك أن تنتهي من اللوحات.

- شكرا جزيلا.

إنهما يستطيعان أن يعاملا بعضهما بجفاء إذا أرادا. جفئت أمام

صوت "كيرك" وهو يقول وهي في عملها الفني في الحظيرة:

- أيضا يذكرك لو شاهدتك؟

- لقد اعتقدت أنك مع الطفلين.

- إنهما بين يدي "كريستي" ولما كانت ستذهب إلى المدينة بعد درس

الفروسية لهما فإنها ستحضرهما وهي مارة في الطريق. لقد عدت كي

أرى إن كنت في حاجة إلى المساعدة وكفي أقول لك إلى أي مدى أنا أسف من مسلكي أمس بعد الظهر. هل تسامحينني؟

ودت لو تقول له "لا" من باب الحيلة والحذر ولكن الشجاعة لم تواتها قالت:

- نعم ولكنني شجعتك على هذا المسلك.

تأملها مدة دقيقة كاملة بانتباه وهو يحاول أن يكتشف إن كانت كاذبة أم صادقة. قال أخيرا:

- حسنا جدا قولي لي إذن كيف يمكنني أن أساعدك؟

- أنت لا تستطيع أن تساعدني.

- إذن هل أستطيع أن أشاهدك أم أن هذا يزعجك؟

يا إله الرحمة! إنه من الأمس حتى المساء كانت مشتاقة إليه بدرجة رهيبة والآن وقد عاد إليها فإنها تخشى منه السوء.

قالت وهي تبتسم:

- حسنا.. إذا ظللت ساكنا ولم تزعجني. عندما كنت أرسم في المنزه

العام عندما كنت طالبة لم يكن يضايقني أن يلتف حولي الفضوليون

بشرط أن اتجاهلهم ولذلك يمكنك أن تبقى هنا إذا أردت ولكن لا تحدثني.

- حسنا جدا.. أقبل ذلك.

فكرت يا إلهي من وضع غريب أن يكون بجوارها رجل لا ينافسها في

موهبتها ولا يدخل في منافسة فنية معها، لأن منهجهما الفني يختلف

تماما ونجت نفسها قائلة إلى العمل! لا تفكري فيه! أخذت فرشاة وبدأت

في وضع الخطوط الرئيسية للمنظر الطبيعي الذي انتشر على سطحه

أشجار النخيل وأكواخ. أوشكت أن تنجح في نسيان رفيقها عندما

لاحظت صوت كعب حذائه المنتظم على الأرضية الخشبية. كزت على

أسنانها وتابعت رسم الخطوط الطويلة لعملها كمهندسة ديكور فنانة
تمدد "كيرك" على ظهره وأخذ يتثائب ولما لم تتحرك أخذ يترنم
بالغناء. رسمت أشخاصا صغيرة كي تعطي اللوحة مزيدا من الحيوية.
قال صوت خلف ظهرها:

- هذه الشخصية الكبيرة هناك.. أتعرفين من تشبهه؟ إنها تشبه
السيدة فلانة.

- حقا؟

تراجعت للخلف خطوة لتقيم اللوحة فاصطدمت بجسد "كيرك"
الضخم فانتفضت الفرصة وأمسك بها. حاولت أن تتخلص منه ولكنه
أمسكها بقوة سالها:

- هل نسيت وجودي؟

- بالتأكيد.. ولكن كان من الواجب عليك أن تنبهني.
أدارها بحيث يواجه كل منهما الآخر وجها لوجه.

- إنني لا أصدق ذلك.

- على أية حال لقد حاولت.

قال وهو يزفر:

أعرف.. إنني أعرف هذا النوع من الفشل ولا أستطيع أن أفعل شيئا..
في كل مرة أراك فيها لا أتحكم في نفسي وعندما أنام لا أكف عن التفكير
فيك وأنت في حجرة على بعد ثلاث خطوات من حجرتي.
توسلت إليه:

- أرجوك أن تكف.

سمعا سويا صوت إطارات سيارة تسحق الجليد في الحال أطلق
"كيرك" سراح سجينته:

- إنها "كريستي" التي أحضرت الطفلين.

دست "ليز" يديها المرتجفتين في جيبها ثم عادت لاستكمال المنظر
الطبيعي.

قالت:

- إن الأمر مثير للحنق حقا.. إنني لم أنته من نصفها.

قال "كيرك" مقترحا:

- سأعنتني بالولدين حتى المساء وهكذا تستطيعين أن تنتهي في
هدوء.

نظرت إلى الديكور الذي بدا لها ناجحا تماما:

- لا تزعجي نفسك فإنني سأرتب كل شيء كي ينتهي في مساء
الاثنين.

أنهى رسم لوحة الخشب الكونتر أي الخشب المقوى في صباح
الاثنين. جلست "ليز" في المقاعد المخصصة للجمهور وأخذت تتأمل
عملها بعين ناقدة، بدا وكأن أحد الجمال الثلاثة يترنح من السكر ولكن
"كيرك" الذي كان يجلس بجوارها أكد لها أنه لم ير في حياته حيوانات
في مثل جمالها.

أما هو باعتباره ميكانيكي فقد استعرض موهبته وساعده في ذلك
أحد التلاميذ، وحكمت "ليز" على أن استعراضه كان رائعا. كانت تبسم
بلا انقطاع وهي سعيدة في أعماقها أن ترى ولديها يختفيان كل يوم
أكثر فأكثر. كان المجتمع الريفي قد أظهر ترحيبا أكثر من أهل المدينة
وهو ما يشكل ميزة إضافية بالنسبة لها.

بدأ العرض في المدرسة يسير بطريقة رائعة دون أي اضطراب
وتصاعدت أناشيد الكريسماس في الجو المحبب والجميل حتى إنها
شعرت بالعاطفة تخنقها. كان "كيرك" كلما انتهى من تحريك الديكور
المسرحي يعود إلى جوارها ويمسك بيدها:

- اوه يا "ليز" انظري لهؤلاء الاولاد. انني فخور جدا بـ"ريان" و"جاسون"... إنهما مذهلان.

لقد كان فخورا بابنيها. اظهر أحد الجالسين خلفهما ضيقه من ارتفاع صوتهما عن طريق قوله "صه" ولكن ذلك لم يهمهما. فجأة شاهدت "ليز" أن "كيرك" كان متحمسا مثلها وعلمت أنه يحبها. لا فائدة من الإنكار. في أقل من شهر أخذت تحبه. كان تأكدها من أنها فريسة عاطفة لم يسبق لها أن أحست بها من قبل حتى نحو زوجها جعلتها تشعر بقلق مغز.

سألها "كيرك":

- أنتحسين بالم؟

قالت تطمئنه:

- بل أنا على خير ما يرام.

رفع إحدى خصلات شعرها التي سقطت على جبينها:

- ولكن وجهك شاحب جدا.

- لا يا "كيرك" إنني في صحة جيدة.

- أمي... أمي... انظري!

اقلقت صيحات الولدين "ليز" التي كانت تقوم بقلبي الدجاج. دخلا وراء "كيرك". كان الثلاثة قد اختفوا من ثلاث ساعات بحجة القيام بمهمة عاجلة. وعادوا يضحكون ويصيحون ويساعدون "كيرك" في حمل شجرة كريسماس ضخمة. وجدوا صعوبة في إدخالها المطبخ.

- أليست جميلة يا أمي!

استطاع "كيرك" أن يرفعها ويثبتها وهو يستند على جدار. حافظ على توازنها بيد وباليدين الأخرى خلع حذاءه وسفرتة. صاح "جاسون" وهو يدس رأسه في الأفرع المنخفضة:

- إن رائحتها جميلة يا أمي! إنها من أجل الكريسماس لقد سحبناها وراء السيارة وأردت أن أركب فوقها ولكن "كيرك" رفض.

قالت "ليز" معترفة وهي منزعة من الفوضى التي سادت المطبخ:

- إنها شجرة مذهلة.

خرج الطفلان ليعلقا معطفيهما في الحجرة الداخلية. سألها "كيرك":

- هل أعجبتك حقاً؟

- ولكن أين ستثبتها؟ في الحظيرة؟

لم يكن "كيرك" يستمع إليها. كان يراقبها بتلك النظرات التي تجردها من أسلحتها. في اللحظة التي أوشكت "ليز" أن تستسلم للرغبة التي تدفعها نحوه. سمعت أصواتا خلف ظهرها ودخلت السيدة "هيللي" في خطوات ملكية إلى المطبخ. وقالت:

- ماذا تفعل هذه الشجرة هنا؟ إن "أميروز" لم يكن يسمح بدخول أي أشجار إلى البيت.

رد "كيرك" بحدة:

- يا للخسارة ولكني أنا و"ليز" نسمح بدخولها وسنضعها في الصالون.

رفع شجرة الأرز على كتفه وتبعته "ليز" وكذلك "ريان" و"جاسون" اللذان بدلا ملابسهما ومرا أمام أنف السيدة "هيللي".

قال بعد أن ثبتها في وسط الحجرة:

- سنقوم بتزيينها بعد العشاء.

قالت "ليز":

- هل يمكن أن تساعدنا يا سيدة "هيللي" في تعليق البالونات والكرات اللامعة هذا المساء؟

- أنا؟

ظلت المرأة العجوز فاقدة النطق. صاح "كيرك" فجأة:

- أوه.. لقد نسيت أن أعطيك البريد.

ناول "ليز" ربطة صغيرة من الخطابات. ألقت عليها نظرة ثم فجأة

أمسكت خطابا وفتحته في لهفة ثم أطلقت صيحة:

سألها "كيرك":

- ماذا.. ما الذي جرى؟

صاحت وهي تلوح بالخطاب:

- لقد فزت.. لقد فزت! أوه يا "كيرك". لقد باع وكيلني الصور.. إنها

معجزة! لقد استعدت استقلالي وحريتي.. كل شيء ممكن الآن..

أعلن "كيرك":

- أنا سعيد من أجلك.

ظل بلا حركة وهو يحيط شجرة الأرز بذراعيه وفشل في أن يدخل

الحماس في صوته ولا حتى ابتسامة على شفتيه.

الفصل التاسع

لمعت شجرة الكريسماس بالآلاف الأضواء وسط الصالون. جلست "ليز" فوق الأريكة وهي تعجب بعمل كل الأسرة. لقد كان الأمر حقاً فاجراً.

قالت:

- أنت رجل كامل الأداء يا "كيرك".

كان الطفلان قد ذهبا للنوم وانسحبت السيدة "هيللي" إلى غرفتها بعد أن ساعدت قليلاً في إعداد الحلوى.

قال موافقاً وهو يجلس بجوارها:

- هذا أجمل ما رايت في حياتي والطفلان ساعداني مساعدة قيمة.

- هل كنت طفلاً وحيداً يا "كيرك"؟

كانا وهما يثرثران ويراقبان عملهما قد سادت بينهما فترة صمت قبل أن يضعا اللمسات الأخيرة على شجرة الأرز.

- حسناً.. حتى رايت ولديك يلعبان سوياً لم أكن أحس بالوحدة. لقد

كان لي اصدقاء كثيرون ولكن احيانا كنت اجد نفسي وحيدا ولذلك
احسست بالمتعة بهذه الاسبية لعيد الميلاد المجيد .

كانت قد حلت الشريط الذي تجمع به شعرها وسقط شعرها على
كتفها في ضفيرة حريرية أعجب به كيرك ثم بس يده بين هذه الكتلة
الخفيفة المعطرة . يا لها من متعة .

سكنا فترة سادها السحر والمتعة ثم استأنف كيرك الحديث في
يسر:

- كان علي ان انبهك قبل هذا يا "ليز" ولكني خشيت ان يضايقك..
حسننا ستحضر امي عيد الميلاد .

قفزت من مكانها:

- انا؟ اتضايق؟ إنه بيتك يا كيرك وإذا كان هناك من سيجعل من
الحبة قبة فهي السيدة "هيللي" الماسوفة على شبابها . بالعكس فإنني
مسرورة ، لأنها ستحضر وأؤكد لك ذلك .

- انا واثق بانها ستحبك من اول نظرة .

- وسأكون سعيدة بمعرفتها .

رفعت رأسها لأعلى ، لأن الطفلين بدلا من ان يناما اخذا يثيران ضجة .
سألته في خوف:

- هل تحب الاطفال؟

- إنها ستحب طفلك تماما مثلما أحبهما .

- اتدري يا كيرك إنه لم يسبق لي ان تآثرت مثلما فعلت عندما
أعلنت انك فخور بابني ولم لاحظ أبدا ان في وجهك بقعا وردية .

بقي امامهما ان يتما العمل في شجرة عيد الميلاد وكأنهما اتفقا
مسبقا قرر ان تصعد "ليز" فوق السلم الخشبي المتنقل ، لأنها خفيفة
الوزن كي تعلق النجمة الكبرى وقد أكدت له أنه سيكسر السلم بوزنه

الثقيل .

أمسك الشريك السلم دون ان يكف عن إبداء إعجابه بجسدها
النحيف . علقت في البداية النجمة الكبرى منخفضة كثيرا وبالقرب من
المصابيح الكروية لذلك اضطرت ان تصعد درجة أخرى من السلم كي
تثبت النجمة في المكان الصحيح وانحنت كي تعجب بعملها فاوشكت
ان تفقد توازنها . صرخت تنادي اسمه كيرك! ثم مالت للخلف تمكن في
اللحظة الأخيرة ان يمسك بها في اللحظة التي تمددت فيها على
الموكيت الجديد .. نهضا معا وهي ما بين الضحك والرعب .

صاح:

- أوه يا عزيزتي .. حمدا لله لم يصبك شيء أصبح وجهه شاحبا من
الانفعال وجلس على أريكة الصالون وأجبر "ليز" على الجلوس بجواره
حتى يستعيد سيطرته على أعصابه . كررت عليه كي يطمئن:

- لم يصبني شيء وحمدا لله أنك أمسكت بي ولكن .. أوه .. ماذا هناك؟
إنك شاحب يا كيرك! كان من الممكن ان يفقدها . كان من الممكن ان
تنهشم رأسها على حافة الصندوق الذي ثبت فيه شجرة الأرض . أو فوق
الأدوات التي استخدمت لتثبيت النقوش .

لم يكن قد شفي تماما من الرعب الذي تملكه .

صاح:

- لا أريد منك أن ترحلي يا "ليز" أريد منك أن تبقي هنا للأبد .. يجب
ان تتزوجيني يا "ليز تريماين" إذا كانت هذه هي الوسيلة التي تجبرك
على البقاء هنا .

- ماذا تقول؟

كرر كلامه في رقة وهو يزن كل كلمة:

- تزوجيني يا "ليز تريماين" .

لقد أصبح الوضع بالنسبة له واضحا كالكريستال حتى إنه دهش،
لأنه لم يفكر في الأمر قبل الآن إن الزواج سينظم كل شيء ويحل كل
المشاكل ولن يكون "أميروز" مخطئا عندما دبر هذه الوحدة إنه يحب
"ليز" وهي تحبه أيضا ويحب طفليها وكعكة الشوكولاتة التي تصنعها
وحتى ذلك العجوز "أميروز" الذي لعب دوره بمهارة حاول أن يحس
بالخلاص فأخذ يضحك من قلبه :

- لقد كسب هذا اللعين "أميروز" إنني في حاجة إليك يا "ليز" أرجوك
أن تعديني بالزواج منك.
لم يترك لها الوقت الكافي للإجابة وأخذ يلح عليها حتى تقطعت
أنفاسه:

- يا عزيزتي.. هل تشكين في المكانة التي تحتلينيها في حياتي؟
- إيه.. حسنا.

لم تعد تعرف ماذا جرى له أو إن كانت هي لاتزال عاقلة. ثم هل
سمعت ما قاله بطريقة صحيحة أم إنها وإهمه؟ هل طلب منها حقا
الزواج؟ إنها لم تعد تستطيع أن تسأل نفسها بسبب الإعصار الذي
صبه عليها.

قال لها بصوت مخنوق:

- أريدك كلك لي والآن وحالا يا حبيبتي.

ثم أفاق لنفسه ولما يطلبه فتدقق في الحال وقال :

- لا.. يا عزيزتي ليس في الحال.. لقد نسينا شيئا نسينا شخصا.. لا
أريد أن أخطأ بسبب الطفلين يا "ليز" علينا أن ننتظر حتى يتم
زواجنا.

جلست "ليز" وهي مصدومة ولا تستطيع التركيز:

- زواجنا؟

- نعم دون شك ألم تفهمي أنني أطلبك للزواج؟
قالت ببطة:

- بلى.. أعتقد أنني فهمت ذلك

ساد الصمت وانتظر "كيرك" بنفاد صبر ثم قال:

- إذن ما هو رأيك يا عزيزتي؟

- أنا لم أعطه لك.

- إذن أسرع وقولي نعم.

كان واثقا بردها.

سألته في تردد:

- حسنا يا "كيرك" لماذا؟

- لماذا؟ ولكن هذا في النهاية الحل عندما يحب الرجل المرأة وتحبه،
وهما حران.

- ربما ولكن كم مرة تخيلت أنك تحب امرأة؟ وكم مرة فكرت في
الزواج؟

- إيه.. حسنا.. من الواضح أن هناك بعض النساء في حياتي الماضية
ولا أستطيع أن أدعي عكس ذلك ولكن إلى أن التقيت بك لم أفكر أبدا قبل
ذلك في الزواج وحتى الآن لم أفكر فيه.

كانت "ليز" تحب أن تعرف لماذا قرر هكذا فجأة الزواج؟ هل لأنه يريد
المزيد من كعك الشوكولاتة؟ كان من المتوقع منها أن تبدي فرحة عارمة
أمام طلبه وإعلانه ولكنها أحست بقلق ثقيل وعدم ثقة من السهل عليها
أن تجد لها مبررا. لقد سبق أن أخبرها "كيرك" كثيرا أنه يتمتع بروح
العزوبية وأن النساء بالنسبة له لسن سوى وسيلة للتمتع الوقتي.
إذن لماذا يريد الزواج؟ منطقيا من الواجب عليها أن ترفض وإن كانت
عاطفيا تتحرق شوقا للقبول

سألته بحدّة:

- ولماذا فكرت في الزواج الليلة؟

قال في دهشة:

- لست أدري. إنني أعرف فقط أنني أريدك زوجة لي وإنني لم أرغب في أي امرأة أخرى كزوجة.

أخذ يفحص وجهها ويبحث عن أسباب ترددها إنها تحبه.. اللعنة! لماذا إذن تقف موقف المدافع؟ إنه لا يفهم شيئاً.

سألها:

- أنت تحبينني.. اليس كذلك؟

قالت:

- نعم أنا أحبك ولكن.. ولكن أنا محتاجة لبعض الوقت لكي أقرر. إذن الأمر طبيعي أن تطلب منه ذلك فهما لم يتعارفا إلا من وقت قصير.

قالت:

- أنت تفهم يا كيرك أنني لا أستطيع أن أمنع نفسي من التفكير في زوجي السابق لقد عرفته وقتاً طويلاً وكنت واثقة بالمستقبل ومع ذلك خدعت. لقد أصيب زواجي بالفشل الذريع ولا أريد أن أعيد هذا النوع من التجربة وأخشى أن يجني طفلاي ثمارها المرة.

فكر كيرك طويلاً ولكن كل شيء بالنسبة له بسيط. إنه لا يفهم تردد ليز ولكنة احترامها.

- أنا أحبك يا ليز وسأبذل قصارى جهدي كي أجعلك سعيدة. سأنتظر وانتظر كل الوقت الذي ترغيبينه ولكن بشرط ألا تكفي عن حبي يا عزيزتي. عديني بذلك.

- هذا ما أعدك به.

ساد صمت ثقيل من التفكير بينهما ثم قال :

- تصبحين على خير يا حبيبتي.. أراك غدا - إلى اللقاء غدا يا كيرك.

وصلت أم كيرك وسط عاصفة من الثلج الذي غطاها وبين الضحك والامتعة، أخذت ابنها بين ذراعيها وقبلته بحرارة ثم استدارت نحو سكان الضيعة الذين التفوا حولها وهي تبسم لهم.

أعلنت ليز وهي تتقدم للأمام:

- اتعشم أن تكون رحلتك طيبة.

كانت الأم قد فرضت اسمها المجرّد على الجميع وهو بيتي وقد ورث عنها ابنها كيرك عينيها الرماديتين الرائعتين كانت مثالا للرقّة والمرح، كان الجميع يتحدثون في حيوية وتبعت ليز حتى حجرتها، سعد كيرك عندما رأى المراتين في انسجام معا في الحال. وعندما أرادت ليز أن تختفي بحجة أن الأم والأبن يرغبان في الانفراد ببعضهما فإن كيرك عارض وهو يقول لها:

- هاي! من فضلك دقيقة واحدة! لا داعي للاختفاء.

- ولكني..

- ابقِ يا عزيزتي ولا داعي لأن يبدو عليك الذعر إن أمي تحبك فعلاً..

اليس هذا حقيقيا يا أمي؟

- نعم هذا صحيح حقا.

نظرت إلى ابنها ورفعت الذراع التي وضعها كيرك على كتف ليز ثم أعلنت:

- انتبه إنك تحرج ليز! اذهب إذن لرعاية جوادك ودعنا نتعارف سويا بطريقة سهلة.

نظرت إلى ابنها نظرة حازمة، لمحتها ليز وفي الحال أطاع. ما إن

أصبحت المراتان بمفردهما حتى اعترفت "بيتي" دون مواربة أو تحفظ :
- إنني حقا سعيدة جدا بمعرفتك سعيدة أن ابني غارق في سحرك...
لا.. لا يحمر وجهك أنا واثقة بأن هناك دسنة على الأقل من النساء من
سكان الناحية يردن أن يعرفن سر سحرك عليه.

لم تعرف "ليز" أي مسلك تتخذه ولكن المرأة أعجبتها بلا حدود..
أكملت "بيتي":

- ألا تريدان أن تصحبيني في جولة حول المزرعة؟ لقد اشترى
"أميروز" هذه الضيعة بعد أن اختفيت مباشرة من حياته وكم كنت أود
أن أعرف تلك التي حلت محلي - إذا كنت على حق في ظني فاعتقد أنها
خالتك؟

اثناء تجوالهما في المزرعة استمرت "بيتي":

- اتعشم أن يكون قد أسعدها ولكن زواجهما لم يستمر وقتا طويلا
على ما أظن.

- نعم على الأكثر سنة واحدة. ولم أكن سوى طفلة وقت وفاة خالتي
ولم يحافظ "أميروز" على أية صلة بأسرة زوجته.

- اتعرفين.. أن "أميروز" لم يكن يحب أحدا ولا يثق بأي شخص.

جلست على الأريكة في الصالون وأبدت إعجابها بشجرة عيد الميلاد
التي أعدت لليلة الكريسماس بمصابيحها اللامعة والكرات الزجاجية
البراقة ولغات الهدايا المعلقة على أفرعها. ثم نظرت إلى "ليز" وهي
تفكر:

- لقد ندمت دائما على أنني لم أرزق بفتاة وكان من الممكن أن أسعد
لو رزقت بفتاة مثلك يا "ليز".

كانت "بيتي البريت" لذينة الحديث وقبل أن ينتهي النهار كانت قد
سحرت الطفلين عندما أرتهما هداياهما الضخمة الملفوفة في ربطتين

كبيرتين. بالتأكيد غير مسموح لهما بفتحهما قبل العيد.

في اليوم التالي أرسلت "بيتي" "كيرك" و "ليز" للخارج ليلعبا وطلبت
من السيدة "هيللي" أن تعلق الهدايا الشهيرة التي أحضرتها لجميع
سكان القرية. سمعتهما "ليز" وهي مذهولة يضحكان كامراتين
عجوزين.

جرى احتفال العيد في جو من الفرح العام حتى السيدة "هيللي"
ساهمت في تبادل الهدايا بأن قدمت زوجا من الخف بلون وردي فاقع
إلى "ليز" وخف ضخم بلون أزرق لـ "كيرك" ونفس عبارات التهنية كتبت
على كلا الخفين:

- من أجل النزهات الخفية في الصالة بالليل تملك الضحك المجنون
كلا المهدى إليهما عندما قالت تلك العبارة. ولكنهما رفضا في عناد أن
يشرحا السبب في مرحهما رغم أن "بيتي" رفضت أن تحرمهما من
الأوزة التقليدية. أما السيدة "هيللي" التي شهدت مرحهما حاولت أن
ترسم على شفثيها ما يمكن أن تسميه شبه ابتسامة.

سال "كيرك" "ليز" بعد عدة أيام:

- ماذا تفعلين في الصالون بمفردك؟

كانت "ليز" على غير عاداتها خاملة وقد ثبتت عينيها في تفكير عميق
وحزين على النار التي تشتعل في المدفأة وقالت:

- أنت تعرف السبب.. إن حمويي سيحضران اليوم لأخذ ولدي
وسيحتفلان بهما مدة أسبوعين. إنها مدة طويلة حقا ثم إن طفلي
مسروران، لأنهما سيصبحان موضع التدليل لدرجة الإفساد ثم إنهما
سيوحشانني جدا.

جلس "كيرك" بجوارها ووضع ذراعه على كتفها ولف إحدى خصلات
شعرها حول سبابته.

- وإذا وعدتكم انهما لن يشعرا بوحشة.

قالت له متسائلة في استغراب:

- ماذا تعني؟

عرفت ذلك في الحال عندما دس رأسها تحت كتفه وأخذ يداعبها

ويقول هامسا:

- اعرف انك تحاولين الابتعاد عني اثناء وجود امي ولكنها خرجت

لتتنزه مع التين الحيزبون والطفلان يتمتعان بغفوة ونحن بمفردنا يا

عزيزتي - هل تحبينني؟

- اوه. نعم.. نعم.

استسلما لعواطفهما وتبادلا النظرات الواهية فلم يسمعا الطرقات

على الباب. كانا يعتقدان انهما بمفردهما إلا عندما سمعا الصوت الحاد

يطرق اذانهما:

- واين إذن اطفالك وانتما هكذا مشغولان؟

في لحظات قفر كل منهما واقفا على قدميه وهما في حالة ذهول

ورعب لينظرا إلى القادم كان وجه كريستي ممتقعا وقد احمر بلون

ارجواني وهي تقدم سيدة بدينة وقصيرة وقفت على الباب وسيدا

اصلع كان صامتا. شرحت كريستي انها قابلت السيدة والسيد

"ماكول" اللذين تاهما في الطريق وإنهما ارتهما الطريق وإنها لما لم تتلق

ردا على طرقاتها أخذت على عاتقها مسؤولية إدخالهما.

قال كيرك:

- اغلقي الباب من فضلك يا كريستي.

ثم قال له كيرك:

- إنها للمرة الثانية غلطتي يا "ليز" لقد وعدتكم أكثر من مرة ألا

انساق وراء عواطفني.

- اوه يا كيرك الحقيقة هي أن...

اختفت شجاعتها امام تعبير حماتها الذي يدل على المهانة وختمت

قولها:

- السيد والسيدة "ماكول" انا سعيدة بأن أقدم لكم السيد كيرك

البريت شريك في مزرعة "هويته" و...

كان عليها أن تسترجع انفاسها حتى يمكنها أن تكمل حديثها بصوت

هامس:

- وزوجي في المستقبل.

انزلت يد كيرك من فوق كتفها لتستقر على يدها وتمسك بها ثم

مدها بعد ذلك إلى القادمين دون أن ينطق بكلمة واحدة. زمجرت السيدة

"ماكول":

- حسنا.. هذا ما توقعته.

همهم كيرك:

- وأنا كذلك.

شرحت "ليز" بسرعة.

- إن الولدين في السرير.. إننا لم نتوقع حضوركما هكذا بسرعة.

اعلن السيد "ماكول":

- هذا واضح.. من فضلك ايقظيهما يا "ليز" لابد أن نرحل قبل هبوط

الليل، لأن الأرصاد أعلنت أن الجو سيكون سيئا.

أرادت "ليز" أن تختصر إلى اقصى حد فترة الوداع فأسرعت بإلباس

الطفلين ملابسهما وأعطتهما حقيبتني الرحلات السابق إعدادهما
وقبلتهما ثم راقبت في حزن العربة وهي تبتعد.

كانت لاتزال مشوشة وفي حالة يرثى لها عندما جاء "كيرك" لينضم
إليها. ثم طلب منها دون أي شرح أن تتبعه إلى الورشة. عندما وصل
إلى الحجر الصغيرة اجلسها في مقعد هزاز وحاصرها وهو يضع
نراعيه على مسندي المقعد ثم أعلن في صوت بارد:

- والآن يا "ليز" تريماين لي الحق في بعض التفسير.

- ما الذي حدث يا "كيرك"؟ هل جننت؟

عندك حق فإنني مجنون ومجروح وغاضب واثار ومهان والعديد من
الصفات التي لا أجرو على قولها.. أولا أنت ترفضين في البداية أن
تتزوجيني، لأنك طلبت مهلة لتفكري في الأمر وفي اللحظة التي وجدت
نفسك أمام حمويك أصابك الرعب حتى إنك لم تعتبري الأمر غير
أخلاقي أن تقدميني لهما كزوج المستقبل وهكذا في خبطة واحدة
أصبحت بريئة وناصعة البياض.. يا للسخرية! لست غرا يا "ليز" فلي
كرامتي حتى تنظلي علي هذه المسرحية الهزلية. إذا تزوجتك فإن ذلك
سيكون لأسباب أخرى غير هذا الخوف الأبله مما يمكن أن يظنه بك
حمواك.

نهضت "ليز".. لا.. إنها لن تظل جالسة مثل الطفل الذي يوبخه رجل
غاضب. صاحت:

- كفى! هل أنت خجلان من تقديمي لك كخطيبي؟

صرخ في صوت هادر.

- لا.. لقد فهمتيني خطأ والذي لا أسمح به هو أن تقرري الموافقة

بهذه الحجة التافهة.

أعلنت في رزانة:

- أفهم ذلك تماما.. أنت لا تريد أن تتزوجني ولم ترغب أبدا في ذلك.
لقد كان غضبك مجرد حجة لاستسلم لك. وقد شككت في ذلك دائما ولهذا
السبب لم أقبل. والآن كل شيء واضح أمامي الآن يا "كيرك".. لابد أن
تبحث من الآن عن شخص آخر يدير لك بيتك.. وكل شيء آخر.

- ولكن عن أي شيء نتحدثين؟

- أعتقد أنك تبحث عن عذر.. وإنك تنوي استدعاء "جينا" التي ستكون
سعيدة بأن ترضيك في كل الميادين.

صرخ هادرا أكثر:

- ولكني لا أريد "جينا" ولم أرغب أبدا في الزواج منها.

- ولا أريد الزواج منك. إن هذا واضح جدا وقد لاحظت جيدا أنك لم
تطلب مني الزواج إلا في اليوم الذي تلقيت فيه الشيك باتعابي عن
الصور، إن فكرة أن أصبح مستقلة جعلتك تخاف. اليس كذلك؟

لم ينكر اتهامها وإنما اكتفى بأن ينظر إليها في ثورة.

- لا بد أن تفهم شيئا يا "كيرك". إن فتاة المدينة ليست بالضرورة
ساذجة وإنها تستطيع أن تتخلص من أزماتها بمفردها حتى ومعها
طفلان، اطمئن فلست في حاجة إليك.

خرجت "ليز" دون أن تسرع وهي ترفض الاعتراف بسوء ظننها. كانت
منتصبة الجسم ولكن دموعها ملأت عينيها.

صاح السيد "ليستر براون" وهو يتقدم "ليز" إلى داخل مكتبه.

- السيدة "تريماين".. كل عام وأنت بخير.. اتعشم أن تكوني راضية

عن أول كريسماس في ضيعة "هويته". كيف حال ولدك؟

- إنهما مقيمان عند جديهما وأنا كما اعلنتك في التليفون أبحث عن شقة للإيجار.

قطب جبينه متجهما وثبت عينيه عليها قالت:

- لقد غادرت الضيعة ولم تحدث أية مشكلة، لأنني أردت أن أحترم رغبة زوج خالتي، ولكن كان علي أن اتحلل من هذا الوعد. ولما كنت قد نجحت في بيع صوري الفنية مؤخرا فإن هذا يمنحني إمكانية أن أرد لك الراتب الشهري الذي دفعته لي والآن أنا في حاجة إلى البحث عن مقر.

فل "ليستر براون" لحظات بلا كلام ثم ابتسم:

- يا ابنتي الغالية.. أنا أسف، لأنك تخليت عن الحياة في الضيعة ولكنك لست مجبرة على رد شيء. لقد ترك لك زوج خالك رأسمالا يسمح لك بأن تعيشي وكان علي أن انتظر عاما حتى أعلن لك ذلك ولكني مضطر لأن أخبرك بذلك مبكرا مادمت قد تخليت عن الحياة في الضيعة. لقد ترك لك مائة ألف دولار.

مائة ألف دولار؟ أخذ قلبها يرق بشدة في صدرها. تساءلت من أين سيدبر "كيرك" كل هذا المبلغ؟ هل سيبيع أبقاره وربما تخلق أيضا عن المزرعة. صاحت:

- لا.. لا أريد هذا المبلغ.

- إن الوصية رسمية يا "ليز".

- لا يهمني.. لا يمكن لـ "كيرك" أن يستطيع أن يدبر كل هذا المبلغ من مشروعه. لا.. إن المزرعة لا تعطي عائدا كافيا. إنها ستكون كارثة.

قامت - في تصميم - مستعدة للرحيل.. لقد انتهت المقابلة وليس عندها ما تضيفه وستنطلق بحثا عن شقة في الحال وهي تقول:

- أرجو المعذرة يا سيد "براون" فإنني لن أراجع عن قراري وسأعيد لك الدفعات السابقة ولا أريد نقودا من مزرعة "هويته".

انطلقت بعد أن صافحته وهي تجري.

- ولكن يا سيدة "تريماين" إن المال لا يأتي من المزرعة ولكن..

كانت "ليز" قد اختفت بسرعة حتى إن كاتب العدل لم يلحق بها.. التهمت درجات السلم وهي تمسح الدموع التي سالت على خديها لقد كانت المقابلة مشحونة بالآلام ولكن من الآن الموقف أصبح محددا. إنها لن تعود أبدا إلى الضيعة.. لا على الإطلاق. إنها لن ترى "كيرك" أبدا مرة ثانية ولن ترى عينيه الرماديتين.. إنها تحب الآن أن تخفي وتجد ملجأ أمنا.

في اللحظة التي فتحت فيها باب المدخل اصطدمت به كان ظهوره السبب في تسارع سقوط دموعها التي حاولت منعها. تعثرت عليه وهي ترتجف. لف ذراعيه حولها ليحميها من آلاف الأخطار.

- أوه يا "كيرك".. لقد قال كاتب العدل إن "أميروز" ترك لي مائة ألف دولار ولكني لا أريدها.. إنني لن أخذها أبدا. إنني أفضل الآن أن أعود إلى الضيعة وأن تحبني من أجل كعك الشوكولاتة وأي شيء آخر. إنني لا أريد أن أعيش بعيدا عنها.

سألها:

- كعكة الشوكولاتة؟ وأمور أخرى؟ حسنا إنني أقبل، لأنني في حاجة إليك يا "ليز".

هدأت بصعوبة شديدة ما دام كيرك بجوارها ولكنها تساءلت أي
معجزة جعلت كيرك أمامها الآن؟ هل هذا فخ من ليستر براون؟ لابد
أنه اتصل به تليفونيا عندما علم أن "ليز" تريد مقابلته.

أعلن كيرك وهو يرفع ذقنها لأعلى:

- إنني أحبك يا "ليز" يا حبيبتي. وأنا محتاج إلى كعكة الشوكولاتة
التي تعدينها. أريدك في بيتي. وإذا رغبت في مواصلة عملك كمصورة
فسانتي لك مرسما في البيت ولكن عودي يا "ليز" إنه أنت التي أريدها
في البيت وفي قلبي وروحي. لأنني أحبك حتى وأنت تغرقينني بالالوان
وأنت ترسمين.

أغرقت كيرك في الضحك من بين دموعها.

- وأنا أحبك يا كيرك كذلك.

نَهَتْ